سيكولوجية الإشاعة

رؤية قرآنية

إشارات موحية في الحرب النفسية وأجندة المواجهة

حسن السعيد



www.dardjlah.com

سيكولوجية الاشاعة

رؤية قرآنية

سيكولوجية الاشاعة

رؤية قرآنية

إشارات موحية في الحرب النفسية وأجندة المواجهة

تأليف
حسن السعيد

الطبعة الأولى
2011

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2010/8/2819)

278.193

السعيد ، حسن .

سيكولوجية الإشاعة: رؤية قرآنية / حسن السعيد . عمان: دار دجلة 2011.

(136) ص

ر.أ: (2010/8/2819).

الواصفات:/ الإشاعة // الإسلام // الحرب النفسية /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

الآراء الموجودة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الناشرة

الطبعة الأولى 2011



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

جمهورية العراق

بغداد- شارع السعدون- عمارة فاطمة

تلفاكس: 0096418170792

خلوي: 009647705855603

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

978-9957-71-184-9 : ISBN

المحتويات

المقدمة

منذ انطلاقتها الأولى، تعرضت الدعوة الإسلامية إلى حملات دعائية مضللة، والى حرب نفسية مخرّبة من قبل المشركين في مكة، والمنافقين واليهود في المدينة وما حولها، كما تتعرض الأمة الإسلامية اليوم إلى الحملات الدعائية المضللة، والحرب الهدّامة[1]. وتأتي الإشاعات والأكاذيب والأراجيف في مقدمة المخطط.

فما أشبه الليلة بالبارحة !

وما أشبه الأساليب الملتوية التي يقوم بها مغرضو اليوم بأساليب مرجفي الأمس !.

في عصرنا الراهن، ورغم التطور الهائل لتكنولوجيا الأسلحة الفتاكة، والقفزة الكبرى في مجالات الإعلام الدعائي.. فإن الإشاعة تبقى من أهم الأسلحة في أوقات الحروب بصفة خاصة، ولهذا ظلت الإشاعة في موقعها التقليدي تتصدر أجندة الحرب النفسية، بل ما تزال تُعدّ أشدها فتكاً وأخطرها تأثيرا.

ولمّا كان القرآن الكريم {**تبيانا لكل شيء**}[2]، فيه (نبأ ما قبلكم وما بعدكم وحكم ما بينكم..)[3] ، (لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه، ولا تُكشف الظلمات إلاّ به)[4]، كما يقول الإمام علي عليه السلام ، ناهيك عن كونه كتاب المسلمين الأكبر.. فقد تضمن إشارات عديدة إلى الإشاعة - تصريحا تارة وتلميحا أخرى - وتطرق إليها في أكثر من موقف تعرض إليه المسلمون، خلال مسار مواجهتهم الضارية مع قوى الشرك

(1) مؤسسة البلاغ: مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني،ص 25.

(2) النحل: 89 .

(3) نهج البلاغة، قصار الحكم: 313.

(4) م.ن: الخطبة 18.0-ح

والجاهلية والنفاق.

وعليه؛ لا مندوحة لنا سوى العودة إلى القرآن حبل الـلـه المتين، هوية نحملها بفخر واعتزاز، وكهفا نلوذ به؛ نستنطق آياته، ونهتدي بتعاليمه، ونقتدي بهديه، ونسترشد بأحكامه.. ومن هنا تأتي ضرورة تسليط الضوء على ظاهرة الإشاعة؛ مصطلحا ومفهوما، أشكالا ومراحل، سيكولوجية وأهدافا.. وصولا إلى الفكرة المحورية لهذا الكتاب التي تتناول معركة أحد نموذجا، بكل ما حفلت به من دروس وعبر، وما أفضت إليه نتائجها المحزنة، بسبب إشاعة مغرضة أطلقها خصوم الإسلام، في ما كانت المعركة المحتدمة على وشك أن تضع أوزارها بانتصار مدوٍّ للمسلمين، بيد أن الرياح جرت بما لا يشتهون!

لقد شخّص القرآن الكريم مواطن الخلل ونقاط الضعف والقوة في تلك المعركة، وركّز على خطورة الإشاعة ، وما يقوم به المثبطون والمرجفون من دور تآمري حاقد، فاضحا أساليبهم الماكرة ونواياهم الشريرة, مستنكرا حركة الارتداد النفسية لدى البعض , حينما هتف الهاتف : (إن محمدا قد قُتل!) , فسرت الشائعة كالنار في الهشيم , لولا ثبات ثلة من المخلصين الذين واجهوا حركة الارتداد على الأعقاب بصلابة ووعي وبصيرة , وبذا فوّتوا على الأعداء فرصة ثمينة للإجهاز على حركة الرسالة , وهي لمَّا تزل في مهدها .

على أن المواجهة النفسية الضارية لم تقف عند حد , بل تنوعت أساليبها, وتلوّنت أحابيلها، ونجد الخطاب القرآني تضمن إشارات إلى نماذج عدة من الشائعات التي كان يطلقها الخصم بين حين وآخر , ولا نزعم أننا قمنا بتغطية كل المواضيع المتعلقة بالإشاعة في القرآن الكريم , فقد أغفلنا العديد منها , واكتفينا بنماذج منتقاة نرى أنها تفي بالغرض المطلوب .

لقد تحدث القرآن عن الحرب النفسية التي يشنها الخصوم على الرسول والرسالة والدعاة إلى الـلـه، ليضع أمامهم حقيقة المعركة بكل أبعادها، وليثبت موقفه

وليزوّد الأتباع بالمناعة النفسية. إنه يوضّح ذلك بقوله:(وكلا نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبّت بهِ فؤادك).

إنه يتحدث عن كل حالات الحرب النفسية التي استخدمها أعداء الدعوة الإلهية على مرّ العصور، فيقول:(ولتسمعُنَّ من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا).

وتعزيزا لموقف الجماعة المؤمنة وصيانتها من تأثيرات الحملات المضادة أوضح القرآن الكريم موقفه من الإشاعات، وكيفية التعامل مع أساليب الحرب الدعائية، وخاصة الإشاعات في ظرف مفصلي، يمثل أحد أهم محطات تاريخ الإسلام وأعظمها، لا نرانا بحاجة إلى التأكيد على ضرورة استحضار هذا المنهج القرآني، ونحن نخوض غمار حرب ضروس تُشن علينا، في أكثر من جبهة، وفي أكثر من خندق.

و الـلـه يتولّى الصالحين .

إشارات موحية
في الحرب النفسية

الإشاعة : ظاهرة اجتماعية قديمة

الإشاعة أو (الشائعة) **Rumor** ظاهرة اجتماعية بالغة الأهمية ، ويضاعف من هذه الأهمية شيوعها في كل زمان ومكان ، وأنها مسلك مألوف من مسالك الجماعات. وهي أيضا أقدم الوسائل الإعلامية في التاريخ.فقبل اعتماد الكتابة ،كانت المشافهة هي قناة التواصل الوحيدة في المجتمعات. وكانت الشائعة وسيلة لنقل الأخبار وبناء السمعة أو تقويضها،وتأجيج الفتن أو الحروب[1]. فهي ظاهرة اجتماعية وُجدت منذ أن وُجد الإنسان على الأرض، وشكل من أشكال الاتصال الإنساني المنطوق والمكتوب، ونوع من أنواع الاتصال الشخصي والجماهيري ، وأداة من أدوات الحرب النفسية. لذلك حظيت باهتمام علماء الاجتماع والنفس والسياسة والاقتصاد والإعلام، لما لها من تأثير كبير على حياة المدنيين والعسكريين في السلم والحرب[2].

الجدير ذكره أن كلمة (إشاعة) تستحضر بالنسبة إلى العامة ظاهرة غامضة وشبه سحريّة، يعكسها تحليل المفردات الرائجة. فالإشاعة تطير وتزحف وتتعرّج وتعدو، وهذا ما يجعلها على المستوى المادي أشبه بحيوان مباغت وسريع الحركة، يتعذّر أسره، ولا ينتمي إلى أيّة فصيلة معروفة . أما تأثيرها في البشر فأشبه بالتنويم المغناطيسي، وخصوصا أنها تبهر وتغوي، وتسحر الألباب، وتلهب الحماسة[3].

من هنا تُعد الشائعات وسيلة مؤثرة من وسائل الدعاية السوداء، وأداة رئيسية من أدواتها، لأنها تعمل على بث الذعر والكراهية، وتحطيم الروح المعنوية، وإثارة عواطف الجماهير، وبلبلة أفكارهم، خاصة في أوقات الحروب والأزمات، حيث يستولي على الناس الخوف والرعب[4].

---

(1) جان – نويل كابفيرير، الشائعات، ص13.

(2) د. إبراهيم أحمد أبو عرقوب، سيكولوجية الإشاعة، ص5.

(3) الشائعات؛ م. س. ص11

(4) د. محمد فريد محمود عزّت، بحوث في الإعلام الإسلامي ص: 13

وفي ضوء هذا؛ فالإشاعة سلاح من أسلحة الحرب النفسية ،إنْ لم تكن من أفتك أسلحة الحرب النفسية، لما لها من خاصيّة الانتشار السريع[1] لاسيّما وأن الإشاعة معلومة مجهولة المصدر عادة، إذ يتم صياغتها وإنتاجها وتسويقها في أوكار سريّة يحيطها الغموض والإبهام.

لهذا لا تتوافر لدينا معلومات كثيرة عن الشائعات..وعلى ما يبدو أن الشائعة التي تُعتبر حدثا غامضا وشبه سحري لا تزال تشكّل فضاء مبهما، وربما يصحّ تشبيهها بمجاهل (ماتو غروسو) البرازيلية، على حد تعبير كابفيرير[2].

ولمّا كانت الأخبار السيئة تنتشر سريعا جدا، كما يقول شكسبير[3]، فإن الإشاعة - في وقت الأزمات والحروب - تحظى من قطاعات عريضة أو أفراد عديدين بالاهتمام.. ويتداول الناس الإشاعة لا بهدف نقل المعلومات بل بهدف التحريض والإثارة وبلبلة الأفكار[4]، ويتمثل سلاح الإشاعة في خبر مدسوس كليّا أو جزئيا، وينتقل شفهيا أو عبر وسائل الإعلام، دون أن يرافقه أي دليل أو برهان، ويقصد به تحطيم المعنويات[5].

إن المربك في الإشاعة هو إمكان إثبات صحّتها.ففي زمن الحرب، يمكن العدو وآذانه الوهمية، أو ما يُعرف بالطابور الخامس، معرفة بعض الحقائق المخفيّة،من خلال الإشاعة. وفي هذا دلالة كافية،على أن الإشاعة تقوم أحيانا على أساس صحيح.

من جهة أخرى ،اللافت أن الإشاعة كثيرا ما تصلنا عن طريق صديق أو زميل أو قريب ،ليس هو الشاهد المباشر على الحث المنقول، إنمّا هو مجرّد صديق لهذا الشاهد. ومنْ عساه يكون أكثر صدقيّة من الشاهد المباشر؟ وأي دليل منتظر يفوق

---

(1) فهمي قطب الدين النجّار، الإعلام والبيت المسلم: 70.

(2) الشائعات، ص13.

(3) ورد النص في إحدى مسرحياته هكذا: "the bad news spread very quickly"

(4) د. أحمد بدر، الرأي العام، طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة: 134.

(5) د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة 3: 423.

شهادته صدقيّة؟. الواقع أن هذا الشاهد المباشر أشبه بصحافي عفوي ولا مبال يدفعه إلى سرد الحدث حبّه للآخرين ،ورغبته في أن ينقل إلى أصدقائه ما رآه أو سمعه.

فمنذ أقدم العصور عرف الإنسان الحرب النفسية، وأثرها التخريبـــي في تماسك الشعوب والأمم والجماعات والأفراد، خصوصا في حالة الحروب والأزمات والتحولات الاجتماعية والأحداث الجديدة، فاستخدمها كسلاح هدّام في صراعه الفكري والعسكري والسياسي والاقتصادي ...الخ[1].

وقد وجدت الإشاعة حيث وجدت المجتمعات البشرية، وتطورت مع تطور المجتمع، وتبلورت في ظل كل حضارة وثقافة، فأخذت أشكالا متنوعة، وقد لعبت الإشاعة دورا في التاريخ، فأدّت مثلا إلى موت سقراط بتهمة تحريض الشبان في أثينا على التمرد والعصيان[2]. يقول ألبورت وبوستمان في كتابهما (سيكولوجية الإشاعة): إن أباطرة الرومان كانوا يعانون من الإشاعات التي تنتشر بين سكان المدن والقرى ، من أجل ذلك قام كثير من هؤلاء الأباطرة باستخدام حرّاس الإشاعات ، للاختلاط بالناس وتجميع الإشاعات التي يتناقلونها، وإبلاغها للإمبراطور، فضلا عن إطلاق الإشاعات المضادة[3].

وقامت الحروب، في القرون الوسطى، نتيجة للمغالاة في رواية قصص المعجزات والجرائم والأسلاب. وكان لها دور في التعبئة النفسية في أوربا إبّان الحروب الصليبية.

في عصر النهضة الأوربية، وتحديدا في القرن الثامن عشر الذي يطلقون عليه (قرن الأنوار) ، ورغم النزوع إلى تحكيم العقلنة على ما سواها، وتأليه العلم وتفشّي الإلحاد، فإن شبح الإشاعة كان يفتك بالرأي العام كالوباء.فعلى سبيل المثال؛ رزح الشعب الفرنسي، طوال القرن الثامن عشر، تحت وطأة ست دورات طويلة من القحط، ذوت خلالها سنابل القمح، قبل موسم الحصاد،وارتفعت الأسعار. وإذا بالإشاعة تنطلق

---

(1) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: المرجع السابق.

(2) موسوعة السياسة: المرجع السابق.

(3) د. أحمد بدر: الرأي العام؛ مرجع سابق.

على نحو منظم موحية بمؤامرة مروّعة لتجويع الشعب، يقف وراءها الملك والمصرفيون والموظفون المحليون وضباط الشرطة وأصحاب المخابز.وقد رأى بعض المؤرخين ، في هاجس المؤامرة هذا نوعا من الذُهان الجماعي، أو بمعنى أدق ؛ ذهان الهلوسة المزمن الذي يكون دليلا على حال التخلّف العقلي.

وعلى غرار ما يؤكده (كابلان): من السهل الاقتناع بفرضية المؤامرة ،لأنها (الفرضية الوحيدة على ما يبدو التي تأخذ في نظر الاعتبار طبيعة الأزمات. فعندما ينظر رجال القرن الثامن عشر حولهم ، يكتشفون وقائع(...) تتجمع ،كأنها قطع أحجية).والواقع أن عوامل عدّة تأتي لترسّخ الشكوك في السياق الواقعي،ومنها على سبيل المثال؛ الشركات والمضاربة والاحتكارات وتورط أصحاب النفوذ. وقد حدث أيضا أن أُلقي ببذور القمح في النهر، تحت ذرائع مختلفة .فالحياة في ظل النظام القديم كانت تفيض بدسائس تُحاك في البلاط الملكي، وأروقة النظام الإقطاعي. وبناء عليه ، كانت العناصر القابلة للتصديق متوافرة بغزارة.لكن وحدها فرضية المؤامرة كانت تسمح بربط هذه العناصر)[1].

ومن الأمثلة التاريخية- ذات الدلالات- الإشاعة التي ساعدت على اندلاع الثورة الهندية ضد بريطانيا عام 1857م. فلقد كان الجنود الهنود العاملون في جيش الهند البريطاني يستخدمون بنادق تملأ من فوهة السبطانة (الماسورة)، وكان عليهم خلال الرمي أن ينزعوا بأسنانهم الورق المشحّم من طرف كل خرطوشة، حتى يسقط البارود في سبطانة البندقية، قبل وضع المقذوف في مكانه، واعتمدت الإشاعة التحريضية على هذا الأمر، إذ انتشرت بين الجنود المسلمين إشاعة تقول بأن الشحم المستخدم هو شحم خنزير، وخيّل للهندوس بأنه شحم بقر، وقد حاول الإنكليز وقتذاك إقناع الجنود بالقيام بأنفسهم بتشحيم ورق الخرطوش بالسمن النباتي[2].

---

(1) الشائعات، ص99.

(2) موسوعة السياسة؛ مرجع سابق.

تزايد دورها في العصر الحديث:

وفي العصر الحديث تطورت أساليب الإشاعة، وكانت فترة الحرب العالمية الثانية مسرحا مكثفا لانتشار الشائعات على نطاق واسع، خاصة وأنها استخدمت كسلاح ذي حدّين؛ للإقناع والاستفزاز. وهذا ما يستدعي مزيدا من تكثيف الجهود لتحليل هذه الظاهرة الاجتماعية، التي ما تزال (تحتاج إلى المزيد من الدراسة والاهتمام، لما للإشاعة من أثر كبير في حياتنا كأفراد وجماعات ومجتمعات وشعوب وحاكمين ومحكومين في السلم والحرب. لذلك درسها علماء النفس كظاهرة نفسية، وعلماء الاجتماع كظاهرة اجتماعية، وعلماء الاقتصاد كظاهرة اقتصادية، وعلماء الإعلام كظاهرة إعلامية، لها تأثير على الجماهير، من حيث تغيير معلوماتهم واتجاهاتهم وسلوكهم)[(1)].

ولما كانت الظاهرة أكثر التصاقا بأجندة الحرب النفسية، لذا نجد أن موضوع الإشاعة من المواضيع التي اهتم بها علم النفس بشكل متميّز منذ الحرب العالمية الثانية. فلقد لاحظ علماء النفس والمهتمون بالحرب النفسية أن الإشاعة وسيلة هامة من وسائل الحرب النفسية يفيد منها العدو الذي يوعز إلى عملائه ببث الإشاعات التي تبلبل نفسيّة الجماهير، وتفقدها ثقتها بحكومتها، وتشككها بجيشها وقواتها المحاربة. ولذلك عكف علماء النفس على درس الإشاعات وعوامل انتشارها، وما يحدث لها منذ أن تُطلق إلى أن تنتشر[(2)].

وقد أولت مدارس الدعاية السياسية الإشاعة اهتمامها الكبير، وهذا غوبلز - مهندس الدعاية الهتلرية - نموذج شاخص في هذا الاتجاه. إذ كان يجمع الشائعات المتجولة بصورة منهجيّة، وينظم دعاية مضادة لتحييدها، سواء من خلال الاتصال

---

(1) د. إبراهيم أحمد أبو عرقوب، "سيكولوجية الإشاعة"، دورية قراءات سياسية (أمريكا) السنة الخامسة، العدد الثاني، ربيع 1415هـ ـ 1995م، ص 103.

(2) د. فاخر عاقل، سيكولوجية الإشاعة ، مجلة العربي، العدد (94). سبتمبر 1996.ص67.

الكلامي، أم من خلال الصحافة المطبوعة والراديو والسينما، أو أنه كان يلجأ إلى (شهود) أجانب، وهم عموما من المحررين المحابين.

وكما هو الأمر بالنسبة للنبوءات والتنبؤات والتنجيم لم يكن غوبلز يتردد في إعطاء تلك الشعوذات تفسيرا رسميا ملائما لخطط الرايخ. هناك مثال متميز حول مهارته في هذا المجال: في نهاية صيف 1943م، انتشرت شائعة حول إعدام عدد من كبار شخصيات النظام، وعمد غوبلز إلى المزايدة على هذه الشائعة، فأعطى أمرا لقطاعاته المتخصصة بنشر شائعة مفادها أن هيملر نفسه قد اعتقل وأعدم. وهذا ما أحدث انفعالا كبيرا وفي اللحظة المناسبة، عاد هيملر إلى الظهور في كل مكان، مما أدّى كضربة مقابلة، إلى تدمير مجمل الشائعات التي انتشرت حول هذا الموضوع. كان الأمر يكمن في تحطيم شائعة كاذبة، من خلال شائعة أخرى تفوقها كذبا، ولكن من الممكن إثبات أنها عارية عن الصحة[1].

قبال ذلك، كانت أجهزة الحلفاء تقوم بدعاية سياسية مضادة، ولجأت في معركتها ضد الخصم إلى أسلوب تحليل الوسائل والخدع التي تلجأ إليها الدعاية السياسية المعادية، وفضحها أمام الجمهور، وهذا ما سعى إليه (معهد تحليل الدعاية السياسية) **Institute For Propaganda Analysis** في الولايات المتحدة الأمريكية، خلال الفترة الممتدة بين عام 1937م، وعام 1939م.

وحاول هذا المعهد أن يحصّن الجمهور ضد كل نوع من أنواع الدعاية السياسية، معلّما إياه كشف الخدع الرئيسية التي يلجأ إليها الخصم. كذلك أنشأ صحفي أمريكي، خلال الحرب العالمية الثانية، زاوية أطلق عليها اسم (عيادة الشائعة) حيث لم يكن يكتفي بتكذيب الأنباء المزيّفة التي تُسيء إلى معنويات السكان، بل كان يقوم أيضا بتحليل نفسي لهذه الشائعات بغية كشف العوامل التي ولّدتها وسهّلت تداولها[2]. وقد

---

(1) د. فريال مهنا، تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري: 82، دمشق 1989.

(2) غي دورندان، الدعاية والدعاية السياسية: 67.

يعمد المعنيون بإدارة الحرب النفسية إلى إطلاق إشاعات مضادة ، في سياق الدعاية المضادة التي تستهدف زعزعة معنويات العدو أساسا.

ما هي الإشاعة ؟

الإشاعة، أو الشائعة معناهما واحد ... فقد جاء في المعجم الوسيط أن (الشائعة: الخبر ينتشر ولا تثبّت فيه) و(الإشاعة: الخبر ينتشر غير متثبّت منه)[1].

يقول ابن منظور: (شاع الشيب: ظهر وتفرّق. وشاع الخبر في الناس شَيْعا وشَيَعانا ...، فهو شائع: انتشر وافترق وذاع وظهر. وأشاع ذِكرَ الشيء: أطارَه وأظهره. وقولهم: هذا خبر شائع وقد شاع في الناس، معناه قد اتصل بكل أحد فاستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض. والشاعةُ: الأخبار المنتشرة، وفي الحديث: أيّما رجل أشاع على رجل عوْرة ليشينه بها، أي أظهر عليه ما يعيبه.

وأشعتُ السر وشِعتُ به إذا أذعتُ به ... ورجل مِشْياع أي مذياع لا يكتم سرّا[2]، والى هذا المعنى أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: {**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ**}[3].

والشائعة أيضا هي: (معلومة لا يتحقق من صحتها، ولا من مصدرها، تنتشر عن طريق النقل الشفوي)، كما ورد في قاموس موريس.

ويعرفها الدكتور مختار حمزة بقوله: (الإشاعات هي الأحاديث والأقوال والأخبار والروايات التي يتناقلها الناس دون تأكد من صحتها، ودون التحقق من صدقها. ويميل كثير من الناس إلى تصديق كل ما يسمعونه دون محاولة للتأكد من صحته، ثم يأخذون يروون بدورهم إلى الغير. وقد يضيفون إليه بعض التفصيلات

---

(1) المعجم الوسيط: الجزء الأول: 503.

(2) ابن منظور، لسان العرب 7: 260.

(3) سورة النساء: 83.

الجديدة، وقد يتحمسون لما يرونه، ويدافعون عنه بحيث لا يدعون السامع يتشكك في صدق ما يقولونه).

والشائعة - كما يقول الدكتور إبراهيم إمام - : (تقوم على أساس انتزاع بعض الأخبار أو المعلومات ومعالجتها بالمبالغة، والتأكيد أحيانا، وبالحذف والتهوين أحيانا أخرى، ثم إلقاء ضوء باهر على معالم محددة، تجسّم بطريقة انفعالية وتصاغ صياغة معينة، بحيث يتيسر للجماهير فهمها. ويسهل سريانها، واستساغتها، واستيعابها على أساس اتصالها بالأحداث الجارية وتمشيها مع العرف والتقاليد والقيم السائدة)[1].

وقد عرف عالما النفس (ألبورت) و(بوستمان) الإشاعة بأنها(افتراض يرتبط بالأحداث القائمة يُراد أن يصبح موضع تصديق العامة ،بحيث يتم ترويجه من شخص إلى آخر مشافهة في العادة، ومن دون أن تتوافر أية ملموسة تسمح بإثبات صحته)[2].

أما (كناب) فيرى في الإشاعة(تصريحا يُطلق لتصدقه العامة ،ويرتبط بأحداث الساعة وينتشر من دون التحقق رسميّا من صحته). كذلك يبين (بيترسون) و(جيست) أن الإشاعة (قصة أو شرح غير مثبت من شخص إلى آخر، ويتعلّق بموضوع أو حدث أو سؤال يثير اهتمام العامة)[3].

الواقع أن التعريفات المتقدمة متقاربة جدا ، وتشير كلها إلى أن الإشاعة هي في المقام الأول؛ معلومة تضيف عناصر جديدة إلى شخص ما، أو حدث ما مرتبط بواقع الحال.وهي تتميز بذلك عن الأسطورة التي تتطرق إلى حدث من الماضي.ثانيا؛ الغرض من الإشاعة هو أن يتم تصديقها . ففي العادة لا تُسرد الإشاعة بغية التسلية أو إطلاق العنان للخيال، وهذا ما يجعلها تتميز عن القصص الطريفة والمغامرات الخيالية، خصوصا أن الإشاعة ترمي إلى الإقناع[4].

---

(1) اعتمدنا في هذه الإستشهادات على كتاب:بحوث في الإعلام الإسلامي للدكتور محمد فريد عزت:14 ـ15.

(2) الشائعات :15.

(3) م. ن:15.

(4) م. ن:15.

مراحل انتشار الإشاعة

هناك ثلاث مراحل تمرّ بها الإشاعة، حتى تسري وتنتشر وهذه المراحل هي:

1. مرحلة الولادة:

وتتسم بأنها مرحلة إنتاج الإشاعة ومرحلة العرض والطلب. في هذه المرحلة، يقوم العدو أو الطابورالخامس من منافقين ومخبرين وحاقدين وعملاء ومأجورين ومرتزقة ورجال إعلام، سواء كانوا من أبناء البلد أو من الأعداء، بإنتاج الإشاعة عند توفّر الوقت المناسب، والجو الملائم، والتربة الخصبة لزرع بذور الشر والفتنة والكراهية والعداء، وتحطيم المعنويات، وإثارة النزاعات بين الأفراد والجماعات والشعوب. ففي حين يطلب الناس المعلومات التي تساعدهم على تفسير ما يجري حولهم في السلم والحرب ولا يجدونها، يقوم مطلقو ومنتجو ومروّجو الإشاعات بتزويدهم بمعلومات تلبي رغبتهم، ولكن دون أن تفك الغموض والمصير المجهول الذي يؤرّقهم.

2. مرحلة المغامرة أو المجازفة:

وهي مرحلة انتشار الإشاعة وذيوعها بين الناس. إنها الطريق الدائري الذي تستمر فيه الإشاعة. ولقد أثبتت عدة دراسات تجريبية بأن انتشار وترويج الإشاعة يعتمد بشكل رئيسي على قانون معين وعلى العمل الجماعي. فالأفراد والجماعات يطلقون الإشاعات، ويشتركون في ترويجها.

يعتمد مدى انتشار الإشاعة على شرطين أساسيين: أحدهما أهمية الموضوع الذي تدور حوله الإشاعة بالنسبة للمستمع أو القارئ أو المشاهد لوسائل الإعلام؛ فمثلا إشاعة حول ارتفاع أو انخفاض نسبة الفائدة في البنوك ليست بذات أهمية لشخص ليس لديه نقود في البنوك. في حين أنها في غاية الأهمية لأصحاب رؤوس الأموال الذين يتعاملون مع البنوك.

أمّا الشرط الآخر فهو غموض الموقف لدى الجمهور، وذلك لانعدام الأخبار أو اقتضابها، أو تضاربها أو عدم الثقة فيها، أو عدم صياغتها بشكل واضح، أو عدم المقدرة على فهمها من قبل الناس، أو وجود رقابة عليها. فقانون رواج أو انتشار الإشاعة يعني أن كثافة الإشاعة المنتشرة تختلف بحسب أهمية موضوع الإشاعة للأشخاص، الذين تعنيهم ومدى غموضه. فالأهمية وحدها لا تؤدي إلى ظهور الإشاعة ولا الغموض وحده؛ لأنه إذا كانت الأهمية صفرا والغموض صفرا فلن يكون هناك شيء اسمه إشاعة.

3. مرحلة موت الإشاعة:

وهي المحصلة النهائية لعملية ولادة وانتشار الإشاعة وعمر الإشاعة. فمن الإشاعات ما يحيا لمدة ساعة أو ساعات، أو يوم أو أيام، أو أسبوع أو أسابيع، أو شهر أو سنوات أو قرون، أو يموت ليعاود الظهور في فترات دورية.

وفي تحليل للإشاعة قام به علماء الاجتماع في أمريكا، ونشرت نتائجه سنة 1991م، وجدوا أن الإشاعة هي عبارة عن نوع من الفيروسات النشطة التي تنمو، بسبب قدرتها على توليد مخاوف لدى الجمهور المستهدف، تمكنها من الانتشار.

وتتغيّر هذه الفيروسات لتناسب أوضاعا جديدة. أما بالنسبة لعمر الإشاعة، فقد قالوا إن بعض الإشاعات قد عاش لعدّة قرون.

ومن الأمثلة على ذلك الإسرائيليات الموجودة في بعض كتب التراث الإسلامي، وإشاعات اليهود عن عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام، وقد دحضها القرآن الكريم، كما نعلم جميعا[1].

أمّا من يقف وراء الإشاعة؟ وكيف يتم تداولها بين الناس؟

فيقوم على نشر الإشاعة أو ترويجها عدّة أشخاص لكل منهم دور، يأخذ بعضهم دور الناقل أو المبلغ أو الرسول(**Messenger**)، فوظيفته إيصال الرسالة

---

(1) دورية قراءات سياسية: 103؛ مرجع سابق.

الاتصالية (الإشاعة) إلى الجمهور المستهدف، وهو أهم دور في عملية انتشار الإشاعة. أما البعض الآخر فقد يأخذ دور المفسر(**interpreter**)، يقوم بتفسير الإشاعة ويتكهّن حول مضمونها محاولا فهم ما حدث أو ما يجري حوله، وهؤلاء هم العقلانيون. أما المتشككون (**Skeptics**)، فيعبرون عن شكّهم فيما سمعوا أو قرأوا ويحذرون الناس منه، وهؤلاء هم الطبقة الواعية.

كذلك هناك من يحاول لمصلحة ما التفسيرات الخاصة بتلك الإشاعة دون غيرها، ويقوم آخرون بدور (متخذ القرار **Decision Maker**)، فهؤلاء يتصرفون بناء على الأخبار أو المعلومات الواردة في تفاصيل الإشاعة، فإذا سمعوا بأن هناك سلعة ما ستفقد من السوق، أو سيرتفع سعرها يهرعون إلى السوق لشراء كمّيات ضخمة منها، وتكديسها للمستقبل خوفا من المجهول، وهؤلاء عامة الناس الذين ينقصهم الوعي الكافي[1].

والإشاعات التي تروّج بين الناس قد تكون عن قصد أو عن غير قصد.. وتلعب الإشاعات المقصودة المغرضة دورا رئيسيا في أوقات الحروب والأزمات، لأنها تثير العواطف، وتترك آثارا عميقة في النفوس، أما الإشاعات غير المقصودة فتسمى ثرثرة أو دردشة، ويجد كل من ناقلها ومستمعها لذة ومتعة في روايتها، دون أن يعلموا أنهم يساعدون على نشر الإشاعات الكاذبة والروايات المختلقة[2].

وليست كل الإشاعات بالضرورة مختلقة من أساسها، فهناك إشاعات تستند إلى حدث حقيقي، يتم تشويهه عند إطلاق الإشاعة، ويعتمد انتشار الإشاعة المختلقة، أو المستندة إلى حدث على أهمية موضوعها، وتوافر عنصري الإثارة والغموض فيها[3].

والقانون الأساسي للإشاعة عبارة عن حاصل ضرب الأهميّة في الغموض، وليس حاصل جمعهما. فإذا كانت الأهميّة كبيرة والغموض صفرا فلن تكون هناك

---

(1) المرجع السابق.

(2) بحوث في الإعلام الإسلامي، مرجع سابق.

(3) موسوعة السياسة ، مرجع سابق: 424.

إشاعة. كذلك إذا كان الغموض شديدا في موقف لا يهمنا فلن تكون هناك إشاعة.

وبتعبير آخر؛ إذا لم يكن للموضوع أهمية، فإن غموضه لا يكفي وحده لاختلاق إشاعة، كذلك فإن الإشاعة لن تقوم لها قائمة إذا كانت الأمور واضحة لا غموض فيها[1].

ويلاحظ أن الغموض قد ينتج عن انعدام وسائل الاتصال والإعلام، أو فقدان الأخبار الموثوقة، أو أمثال ذلك من الأسباب التي تكثر أثناء الحروب، أو في البلاد التي مزقتها الحروب، أو فيما بين الجماعات المعزولة كبعض الفرق الحربية أو بعض الجماعات النائية. كما قد ينشأ الغموض عن انتشار الأخبار المتضاربة وانعدام الثقة بالسلطات الحاكمة، أو وجود رقابة على الأخبار وسواها[2] أو نقص المعلومات الرسمية وتضاربها، وسوء الاتصالات والاستعداد النفسي لتقبّل الإشاعة. وهذا ما يفسر انتشارها بسرعة إبّان الحروب والاضطرابات وفي المجتمعات المحرومة من الاستقرار الداخلي، بسبب تناقضاتها الحادة، سواء كانت هذه التناقضات اجتماعية أم دينية أم عرقيّة[3].

ففي مثل هذه الأجواء تنتشر الإشاعات الهدّامة التي تتعلق بحياة الإنسان ومصالحه، لإثارة الخوف والرعب والفرقة والخلاف والضعف، فتثير الإشاعات المخوّفة من الغلاء وندرة السلع، أو قوة العدو العسكرية وتفوقه، أو ضعف قوة الجبهة الداخلية، أو الفرقة الطائفية والعنصرية والمذهبية والإقليمية، أو التشكيك بالشخصيات والقيادات والكيانات، والإيحاء للآخرين بالشبهات والتهم وضعف الصف وتخلخل تماسكه[4].

---

(1) بحوث في الإعلام الإسلامي ، مصدر سابق: 16.

(2) مجلة العربي؛ مرجع سابق.

(3) موسوعة السياسة، مرجع سابق.

(4) بشيء من التصرف من كرّاس: مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 42.

أشكالها.. وسيكولوجيتها

تقسم الإشاعة إلى أشكال متعددة، فهناك الإشاعة التي تنتقل ببطء من شخص إلى آخر، والإشاعة التي تنطلق بضجة فتصل إلى أسماع عدد كبير من الناس خلال فترة زمنية قصيرة، وتكثر في الكوارث وعند الانتصارات أو الهزائم الساحقة، والإشاعة التي يُطلق عليها تسمية الإشاعة الغائصة أي أنها تروج في البداية ثم تختفي لتظهر ثانية عندما تتاح لها فرصة للظهور.

ويمكن التمييز بين الإشاعة التي يطلقها العدو أو عملاؤه، والإشاعة التي تنطلق ذاتيا للتنفيس عن كبت شديد، أو للتظاهر بسعة الاطلاع والمعرفة، أو تفسير الأحداث بشكل خيالي يبرر التطورات والأحاسيس العنيفة.

وتتعرض الإشاعة إلى تحريف ناقليها فيسقطون بعض تفصيلاتها ويركزون على البعض الآخر، ويعطونها طابعا مشوقا يزيد من خطورتها وقدرتها على الإقناع[1].

وتوجد علاقة طردية بين شدّة الإشاعة ودرجة الصداقة وعلاقات الإلفة والمحبة التي تقوم بين الأفراد، حيث يسهل سريان الإشاعة عبر العلاقات والتفاعلات التي تقوم بين الأصدقاء والأقارب.

ومع أن الإشاعة تنتقل في المجتمع ككل إلاّ أنها تبدأ في إطار هذه العلاقات حيث يكون التفاعل على أشدّه[2].

ويمكن تقسيم الإشاعات على أساس دلالتها ودوافعها إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي: إشاعات الأحلام والأماني وإشاعات الكراهية والعداء ، وإشاعات الخوف[3].

---

(1) موسوعة السياسة: 423، مرجع سابق.

(2) بحوث في الإعلام الإسلامي، مرجع سابق.

(3) للمزيد من الاطلاع على أنماط هذه الإشاعات يراجع المرجع السابق: 17 ـ 19.

ويلاحظ أن الإشاعات قد تنتج عن الخوف، خوف المواطنين، فهم يفتحون آذانهم لالتقاط الإشاعات التي قد يطلقها أناس أبرياء، أو جماعة من العملاء والمخربين والخونة.

وهنا نلاحظ علاقة الإشاعة وانتشارها بوجود الأقلّيات العرقية أو الدينية أو القومية أو سواها، وكيف تدور هذه الإشاعات حول هذه الأقلّيات وتتناولها وتهاجمها.

ولقد أُجري إحصاء في أمريكا عام 1942م، حيث دُرست ألف إشاعة فوجد أنها تتوزع كالتالي:

66٪ من الإشاعات كانت إشاعات عداء.

25٪ كانت إشاعات خوف.

2٪ كانت إشاعات تمني.

7٪ كانت إشاعات من أنواع مختلفة.

ولقد لوحظ أن إشاعات الخوف والتمني ما لبثت أن تغيّرت طبيعتها باقتراب النصر. على أن الملحوظ أن غالبية الإشاعات كانت من طبيعة افترائية شريرة وتعبّر عن عداء ضد هذه الجماعة أو تلك[1].

وقد توقف علماء النفس أمام (سيكولوجية الإشاعة)، وعزوا الأسباب الرئيسية لانتشارها إلى أنها تقوم بوظيفة مزدوجة؛ فهي تفسّر التوترات الانفعالية التي يستشعرها الأفراد وتنفّس عنها. ومعلوم أن التنفيس المادي والمعنوي يسبب تراخي التوتر، ويقود إلى الشعور بالراحة[2].

تبقى الإشارة إلى أن الإشاعة لا تنطلق كلها من حدث يحتاج إلى تفسير ،بل إن بعضها يولّد الحدث نفسه .وليس ثمة سبب في الواقع يمنع تسمية هذه الأخيرة بالإشاعات.ووفق التعريف الذي قيّد الإشاعة بالروايات، التي لا تستند إلى وقائع

---

(1) سيكولوجية الإشاعة، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق.

مثبتة، كشف عن حالة من الانحراف، فبدت الإشاعة أشبه بمرض عقلي يصيب المجتمع .ومن المثير للاهتمام أن مفردات طبية أُعتمدت في تحليل هذا النوع من الإشاعات ،نذكر منها على سبيل المثال؛ الجرثومة ،وعلم الأمراض، والمركز الناقل للعدوى،ومرحلة الاحتضان، ومرحلة الانتقال. فقد شُبهت الإشاعة هنا بمرض أو حتى (بسرطان عقلي). وفي هذا السياق، صرّح كاتب المقال الافتتاحي في جريدة لوموند (بيار فيانسون بونتي) بالآتي:(لم يسبق أن أُجْرِيتْ معاينة أي شكل آخر من أمراض الرأي المعدية، التي تُصيب تحديدا الطبقة السياسية(...)؛مرض يمكن أن نطلق عليه تسمية (الإشاعة السياسية).

يقول كابفيرير:(إن هذا المزيج بين الإشاعة والمرض، بل الجنون، يبدو منطقيا، لأن اعتبار الإشاعة مجرد معتقد تتناقله العامة، في ظل غياب الأسباب التي تسوّغ وجوده، يجعلها غير منطقية ، ويدرجها في خانة أعراض (الجنون)، أي المرادف الاجتماعي للهذيان.وبناء عليه ، لا يمكن تفسير الإشاعة إلاّ من خلال الطب النفسي.وإذا كان الناس يصدقون الإشاعة ، فهذا معناه أنهم مجانين.

والجدير ذكره هنا أن التحليل النفسي للإشاعة ينطوي على منفعة عملية مهمة، خصوصا أنه يسمح باستنزال اللعنة، على أولئك الذين لا يفكرون (مثلنا)، أو لا يؤيدون (الحقيقة الرسمية). ولا يمكن في الواقع لومهم إذا لم يصدقوها ؛ فهم يرزحون تحت وطأة الهذيان[1].

من المفيد التذكير،هنا، بفكرتين ذائعتين متصلتين بهذا الموضوع؛ أولاهما أن النساء تحديدا يملن إلى تناقل الإشاعات، وثانيتهما أن طبقة المثقفين تضطلع على الدوام بدور المقاوم[2].

---

(1) الشائعات:23-24

(2) م. ن:120

أهداف الإشاعة

وعلى الرغم من الطابع الاجتماعي والسايكولوجي الغالب على هدف الإشاعة، إلاّ أن جوهرها ينطوي على أهداف سياسية بالدرجة الأولى، وتتداخل مع بقية الأهداف المتوخاة، إلى الدرجة التي يصعب فيها التفكيك بينها. وبالإمكان رصد أهم تلك الأهداف[1]:

1. بث الخوف والرعب والحقد والكراهية والعداوة وزرع بذور الفتنة والشك واليأس والأمل في نفوس الجمهور المستهدف.

2. تشويه سمعة وصورة الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب والدول والقادة.

3. خلخلة وحدة الصف.

4. تهجير المدنيين عن طريق بث الرعب في قلوبهم.

5. تحطيم إرادة القتال لدى العدو.

6. تثبيط معنويات المدنيين والعسكريين.

7. العمل على تكوين الرأي العام أو جسّه أو تعبئته أو تضليله، حول موضوع ما يلامس حياة الناس اليومية.

8 . خداع العدو وتضليله عن طريق تعمية الأمور عليه.

9. العمل على تقوية الروح المعنوية خاصة وقت الأزمات والحروب والكوارث الطبيعية.

وتأسيسا على ذلك اعتبر علماء الحرب النفسية الإشاعة من أهم الأسلحة التي يلجأون إليها في الحرب داخليا وخارجيا، وتقوم الكيانات السياسية باستخدام الإشاعة كسلاح يغتالون به سمعة أعدائهم خلقيا ومسلكيّا ووظيفيا ونزاهة. ولكن الإعلام الإسلامي والرأي العام الإسلامي يرفض اللجوء الى هذا النوع من الإشاعات ، سواء أكانت فردية أم جماعية، وطلب من المسلم أن يرقى بنفسه عن هذا الدرك السيئ، من اللجوء

---

(1) دورية قراءات سياسية: 102، مرجع سابق.

الى الإشاعة الكاذبة، لتحطيم وتفسّيخ المجتمع[1].

إن المعركة المحتدمة اليوم بين قوى الخير والشر واسعة ضارية خطيرة، وفي مقدمتها الحرب النفسية التي تشنها ضدنا الدول المارقة، بكل أجهزتها الدعائية الضخمة، ومختبراتها السياسية العريقة، وكارتلاتها الاقتصادية العملاقة، وشبكاتها المخابراتية الاخطبوطية، حتى أمسينا إزاء أجندة شديدة الخطورة، وهي تقتحم كل السدود والحصون، لاسيما وأن الإرهاب بالكلمات بات أشد فتكا من الإرهاب الجسدي، لأنه يستهدف إرادة الأمة وتماسكها وعنفوانها وكرامتها.

من هنا تعتبر الحرب النفسية من أخطر أسلحة العدو التي يستخدمها ضد خصومه، وقد استعملت الجاهلية في مختلف عصورها، الماضية منها والحاضرة، الحرب النفسية بشتى صورها ضد الرسول والرسالة والرساليين.

فاستخدمت الأراجيف والإشاعات، وطعن شخصية الرسول صلى اللـه عليه و سلم ،والسخرية والاستهزاء به وبأصحابه، والتقليل من شأنهم وأهميتهم الاجتماعية، وإشاعة الرعب والإرهاب في صفوف الجماعة الإسلامية والدعاة الى اللـه سبحانه، لإضعاف الروح المعنوية، وهز الشخصية الإسلامية من داخلها، وايجاد الهزيمة النفسية، ليتداعى البناء، ويفقد أتباع الدعوة الإلهية الثقة بأنفسهم ،ويعيشوا في حالة من القلق والتوتر.وعندما تنهزم الإرادة، ويستولي الرعب والخوف على الفرد والجماعة المؤمنة تنهار مقاومتها ويضعف صمودها.

وعلى امتداد مسار التاريخ دأب الظالمون والطغاة، والذين في قلوبهم مرض على التقاطع، مع كل ماهو خيّر وجميل في الحياة، فلا يقبلون أن يعيشوا في مناخ الأمن النفسي، والصدق والحق، بل في مناخ ملبّد بغيوم البلبلة والشائعات،فإذا لم يجدوا شيئا يساعدهم على ذلك، اختلقوا الأكاذيب، وصنعوا الشائعات، وأحدثوا في المجتمع فتنا هوجاء، وتلك طبيعة خبيثة في بعض الناس، وهؤلاء هم الذين حذّر اللـه

---

(1) موسى زيد الكيلاني: الإعلام السياسي والإسلام: 53، بيروت 1405 هـ 1985م.

سبحانه وتعالى منهم، ووصفهم بأنهم الشياطين:(شياطين الإنس والجن).

ولقد وصل بأصحاب الشائعات الملفقة والافتراءات المزورة أن كانوا ينالون من الرسول صلى اللـه عليه و سلم ، بل وصل بأصحاب القلوب المريضة، ومنْ فقدوا الإيمان وضلوا ضلالا مبينا أنه لم يسلم من أذاهم وشائعاتهم وإفكهم أحد، فهم أهل البهتان، والمروجون للزور، والمؤلفون لوقائع الكذب ، فنالوا من اللـه ورسوله والمؤمنين.

وقد عالج القرآن الكريم هذا الموضوع الخطير في غير موضع، وتناوله على أكثر من صعيد.

الإشاعة في القرآن

لم يأتِ في القرآن الكريم ذكر صريح للإشاعة أو مشتقاتها إلاّ مرّة واحدة، وردت في سورة النور، وهو قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[1].

بيد أنها وردت في مفهومها الشامل وتطبيقاتها ومداليلها العديدة، في الكثير من المواطن والمواقف المشهودة. وككل حركات التغيير الكبرى التي تركت بصماتها على مسيرة التاريخ، لم تمر الدعوة الإسلامية بسلام، ومن دون ردود فعل مضادة وعنيفة وشرسة. فمنذ أن جهر رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم الدعوة إلى اللـه، وعالن قومه بضلال ورثوه عن آبائهم، قرر المشركون ألاّ يألوا جهدا في محاربة الإسلام وإيذاء الداخلين فيه. وانفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحب كل ذلك حرب عاتية من الشائعات المغرضة، والسخرية والتحقير؛ لتخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، وتحطيم نفسياتهم. فرُمي النبي صلى اللـه عليه و سلم وصحابته بتهم هازلة، وشتائم سفيهة وأُشيعت حولهم الافتراءات والأباطيل للحط من مكانتهم لدى الجماهير.

وفي المدينة حيث كثر عدد المسلمين، فقد اتخذت العداوة للإسلام طريق الدس والنفاق والمخاتلة وترويج الشائعات، فأسلم فريق من المشركين واليهود ظاهرا، وقلوبهم تغلي حقدا وكفرا، وعلى رأس هؤلاء عبد اللـه بن أبي بن سلول العوفي[2].

وفي غمرة المواجهة الضارية، حرص القرآن الكريم على توعية المسلمين، وتكوين الحسّ السياسي والإعلامي لديهم؛ لصيانة الرأي العام الإسلامي وتحصينه من التأثّر بالإشاعات والأكاذيب والأراجيف التي يبثها المندسون والمنافقون والخصوم، ليكوّن المناعة الفكرية والنفسية، ويفوّت الفرص على أولئك المخرّبين، فثبّت الأسس والموازين اللازمة للإنسان المسلم، ليتمكّن من فحص وتمييز الإشاعة والدعاية الكاذبة

(1) سورة النور: 19.

(2) محمد الغزالي، فقه السيرة: 106، 256، ط (7)، القاهرة، 1976، نقلاً عن كتاب بحوث في الإعلام الإسلامي : 25 ـ 26.

وفرزها، والوقوف بوجهها[1].

وحينما نستقرئ آيات القرآن التي تحدثت عن الإشاعات التي روّجها أعداء الإسلام، وأسلوب التعامل معها، نجد نماذج عديدة لها مبثوثة في كتاب اللـه، وتكاد تغطّي كل مساحات المواجهة خلال مرحلة النبوّة، وفيما يلي بعض المحطات الهامة[2]:

من أساليب الدعاية السوداء

جاء الخطاب القرآني قويّا مجلجلا، وكان وقعه كالصاعقة على المشركين، ولما أعيتهم الحيلة في مواجهة الحجة بالحجة، وأنّى لهم ذلك؟ انتهجوا ترويج الإشاعات ضد الرسول الأكرم صلى اللـه عليه و سلم باعتباره المثل الأعلى، ذلك في محاولة للتسقيط الشخصي، فأخذوا يشيعون أنه كاهن، وأنه مجنون، وأنه شاعر، وأنه كذّاب، وأنه ساحر ...!!.

{وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ}[3].

{قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}[4].

{وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْر مُّبِينٌ}[5].

{وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} [6].

{وَقَالَ الْكَافِرونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}[7].

---

(1) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 26، المرجع السابق.

(2) نقول: (بعض) المحطات الهامة.. لأننا أغفلنا نماذج الإشاعة التي لم يرد ذكرها في القرآن، كالذي حصل بين مهاجري الحبشة، وفي عمرة النقاء.. وكذلك لم نقف إزاء كل الآيات التي عالجت موضوع الإشاعة، واكتفينا ببعضها، أمل أن نواصل الحديث لاحقاً، إن شاء اللـه تعالى على.

(3) القلم: 51.

(4) الأنبياء: 5.

(5) الصافات: 15.

(6) الصافات: 36.

(7) ص: 4.

وفي غمرة انهماك أعداء الإسلام ببث أباطيلهم حول الصادق الأمين صلى الـلـه عليه و سلم نزل الوحي يقرّع هؤلاء:

{فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}[1].

ولمّا ثبت بطلان كل تلك الشائعات عنه صلى الـلـه عليه و سلم لم يلقِ المشركون سلاحهم، ولم يتركوا أساليب دعايتهم السوداء، فعمدوا إلى أسلوب آخر، فتواصوا على أن يمنعوا الوافدين إلى مكّة من الاستماع إليه. واجتمع الوليد بن المغيرة مع نفر من قريش، ليتفقوا على شيء واحد يجمعون عليه، قال الوليد: إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد صلى الـلـه عليه و سلم فتختلف فيه أقوالكم، يقول هذا: ساحر، ويقول هذا: كاهن ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحدا مما يقولون. ولكن أصلح ما قيل فيه: ساحر يفرّق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. وقد اقتسم هؤلاء المتآمرون مداخل مكة أيّام موسم الحج، يحذرون الناس منه صلى الـلـه عليه و سلم وينعتونه بما تواصوا به من سحر مفرق[2].

ومرة أخرى تخيب ظنون المشركين، ويرتد كيدهم إلى نحورهم، وطفق الناس يقبلون على كلمة السماء دون أن يعيروا أدنى اهتمام لما يبثّه دهاقنة الشرك.

وحينما تيقّن الوليد بن المغيرة وأضرابه من عقم محاولاتهم الرامية إلى التشكيك في شخصية الرسول صلى الـلـه عليه و سلم ، وتشويه صورته وصولا إلى صرف الناس عن اتّباعه، والانقياد إلى دعوته، انتقلوا إلى خطوة أخرى وأخرى؛ ليمارسوا في إطارها تجارتهم الخاسرة.

وفيما يلي وقفة مع معركة أحد، كنموذج للمحطات الأخرى.

---

(1) الحاقة: 38 ـ 43.

(2) فقه السيرة: 110، مرجع سابق.

معركة أحد.. نموذجا-

كان يوم أُحد يوم السبت للنصف من شوّال[1] سنة ثلاث من الهجرة.

وكانت واقعة أُحد من أهم الوقائع الإسلامية الحربيّة التي عاش المسلمون فيها حالة النصر، كأفضل ما يكون النصر، ثم حولوها إلى هزيمة بفعل الممارسات الخاطئة ،التي انحرف فيها الكثير من المقاتلين عن الهدف الذي يفرض عليهم الانضباط، فيما تقتضيه خطة الحرب من مواقع ومواقف[2]..

وبهذا يمكن القول: إن غزوة أحد لم تكن معركة في الميدان وحده، إنما كانت معركة كذلك في الضمير. كانت معركة ميدانها أوسع الميادين؛ لأن ميدان القتال فيها لم يكن إلاّ جانبا واحدا من ميدانها الهائل الذي دارت فيه، ميدان النفس البشرية، وتصوراتها ومشاعرها، وأطماعها وشهواتها، ودوافعها وكوابحها على العموم، وكان القرآن هناك، يعالج هذه النفس بألطف وأعمق، وبأفضل وأشمل ما يعالج المحاربون أقرانهم في النزال[3].

وكانت موقعة أحد فرصة سانحة، لكي يعالج القرآن فيها كثيرا من الجوانب الإنسانية المتحركة في المعركة، ويثير كثيرا من الأجواء بكل ما حفلت به المعركة من نقاط الضعف والقوّة، لتثير في وعي المسلمين الكثير من المفاهيم الإسلامية المتعلّقة بحركة المعركة وموقع القيادة في خط السير، ومدى تأثير وجودها وغيابها في موضوع الالتزام بالمسيرة، والاستمرار على المبدأ، ويتابع المسلمين في المعركة وهم يتأملون ويخالفون ويندفعون ويواجهون الأعداء وينهزمون أمامهم، ولاحظ كيف تتحكم بهم جوانب الضعف البشري، ووقف معهم ليدفعهم إلى مواجهتها بشجاعة المؤمن الذي يعترف بها بصراحة، في محاولة لتحويلها إلى نقاط قوة بالجهد والإيمان والمعاناة،

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 3: 106.

(2) محمد حسين فضل اللـه، من وحي القرآن 6: 161،.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن 1: 457 (طبعة الشروق العاشرة)، 1402هـ ـ 1982م.

وأعطانا درسا عمليا في التأكيد على الجانب السلبي في الشخصية التاريخية بالقوة نفسها التي تؤكد على الجانب الإيجابي فيها، على أساس الواقعية الإنسانية في الإنسان، وعدم إغفال الضعف في التجربة الحيّة؛ بحجة أن ذلك يسيء إلى قداسة التاريخ وعظمة أبطاله[1].

وكانت هذه الحصيلة الضخمة التي استقرت في الجماعة المسلمة، من وراء الأحداث، ومن وراء التوجيهات القرآنية بعد الأحداث أكبر وأخطر، بما لا يقاس في حصيلة النصر والغنيمة، ولا قيمة ولا وزن في نظر الإسلام للانتصار العسكري أو السياسي أو الاقتصادي ما لم يقم هذا كله على أساس المنهج الرباني، في الانتصار على النفس، والغلبة على الهوى، والفوز على الشهوة، وتقرير الحق الذي أراده الـلـه في حياة الناس؛ ليكون كل نصر نصرا لله ولمنهج الـلـه، وليكون كل جهد في سبيل الـلـه ومنهج الـلـه، وإلاّ فهي جاهلية، تنتصر على جاهلية[2].

ومن بين جوانب المعركة، تبرز الإشاعة كأحد أخطر الأسلحة التي استخدمها المشركون ضد المسلمين.

ولو قُدّر لتلك الإشاعة أن تحقق كامل أهدافها لمُني المسلمون بهزيمة مروّعة ، ولهُدّدت دولة الإسلام الفتيّة يومذاك من الأساس.

والمسألة باختصار شديد:

كانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، حيث قُتل من هؤلاء سبعون من صناديدهم، وانهزم أعداء الـلـه وولوا مدبرين، حتى انتهوا إلى نسائهم. وحتى شمّرت النساء ثيابهنّ عن أرجلهن هاربات! فلمّا رأى الرماة هزيمة المشركين وانكشافهم، تركوا مراكزهم التي أمرهم رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ألا يبرحوها، وقالوا: الغنيمة! الغنيمة! فذكرهم أميرهم عهد رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة! فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلوا الثغر في أحد!.

---

(1) من وحي القرآن: 163 ـ 165، مرجع سابق.

(2) في ظلال القرآن: 458 ـ 459، مرجع سابق.

عندئذ أدركها خالد (بن الوليد) فكرّ في خيل المشركين، فوجدوا الثغر خاليا فاحتلوه من خلف ظهور المسلمين. وأقبل المنهزمون من المشركين حين رأوا خالدا والفرسان قد علوا المسلمين، فأحاطوا بهم!.

وانقلبت المعركة، فدارت الدائرة على المسلمين، ووقع الهرج والمرج في الصف، واستولى الاضطراب والذعر، لهول المفاجأة التي لم يتوقعها أحد. وكثر القتل واستشهد من المسلمين مَنْ كتب اللـه له الشهادة.

وخلص المشركون إلى رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم ، وقد أفرد إلاّ من نفر يعدون على الأصابع، قاتلوا عنه حتى قتلوا ،وقد جرح وجهه صلى اللـه عليه و سلم ، وكسرت سنه الرباعيّة اليمنى في الفك الأسفل، وهشمت البيضة على رأسه، ورماه المشركون بالحجارة حتى وقع لجنبه، وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق قد حفرها وغطّاها! يكيد بها للمسلمين، وغاصت حلقتان من حلق المغفر في وجنته.

وفي وسط هذا الهول المحيط بالمسلمين صاح صائح: إن محمدا قُتل. فكانت الطامة التي هدّت ما بقي من قواهم، فانقلبوا على أعقابهم مهزومين هزيمة منكرة، لا يحاولون قتالا، ممّا أصابهم من اليأس والكلال[1].

قال ابن عباس، وقتادة، والضحّاك، ومجاهد: إنه لما أرجف بأن النبي صلى اللـه عليه و سلم قتل يوم أُحد وأشيع ذلك، قال ناس: لو كان نبيا ما قتل. وقال آخرون: نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به[2].

وحدثت البلبلة والارتباك، وانكفأ الناس عن النبي محمد صلى اللـه عليه و سلم وما بقي معه إلاّ قليل، وقال البعض: ليتنا نجد من يأخذ لنا الأمان من أبي سفيان! وقال آخرون: لو كان محمد نبيا لما قتل، الحقوا بدينكم الأول، كما يروي المؤرخون ذلك وغيره، في الخط السلبي للقضية.

---

(1) المصدر السابق: 462.

(2) الشيخ الطوسي،التبيان في تفسير القرآن 3: 6 (طبعة بيروت).

أمّا في الخط الإيجابي الذي يمثّل الثبات على الإسلام، حتى في غياب الرسول القائد ، فتمثّله لنا القصّة التي ينقلها الطبري في تفسيره: إن رجلا من المهاجرين مرّ برجل من الأنصار يتشحّط في دمه، فقال للأنصاري أعلمتَ أن محمدا قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم .

وفي رواية أخرى - يرويها الطبري أيضا - أن أنس بن النضر مرّ بعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الـلـه في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال أنس: ما يجلسكم؟

قالوا: قتل محمد.

قال: إن كان قد قتل محمد فإن ربّ محمد لم يُقتل، وما تصنعون بالحياة بعده، فقاتلوا على ما قاتل عليه، موتوا على ما مات عليه.

ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك ممّا قال هؤلاء، وأبرأ إليك ممّا جاؤوا به. ثم شدّ بسيفه فقاتل، حتى قتل رضوان الـلـه عليه[1].

وكان أصل هذه الشائعة أن مصعب بن عمير كان يقاتل دون رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، حين انكشف المسلمون حتى قتُل، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم فرجع إلى قريش وقال: قتلت محمدا.

ويبدو أن شائعة قتل النبي صلى الـلـه عليه و سلم سرت على أفواه كثيرة، حتى إن أبا سفيان قائد المشركين، حين أراد الانصراف بعد انتهاء المعركة، رأى أن يتحقق من تلك الشائعة، وهي قتل محمد صلى الـلـه عليه و سلم فأشرف على الجبل، وطلب من عمر بن الخطاب أن يأتيه، ليعرف الحقيقة منه.

فقال رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم لعمر: (آتيه فانظر ما شأنه).

فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الـلـه يا عمر، أقتلنا محمدا؟

قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن.

---

(1) من وحي القرآن: 195 ـ 196، مرجع سابق.

قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر، وهو الذي زعم أنه قتل النبي صلى اللـه عليه و سلم .

ومن الواضح أن تلك الشائعة التي قامت على خبر غير متثبّت من صحته، وسرت بسرعة بين المسلمين والمشركين على السواء، حيث توهم ابن قمئة، حين قتل مصعب بن عمير، أنه قتل رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم ، ثم أشاع هذا الوهم لما يعلم من أثر ذلك في تحطيم قوى المسلمين المعنوية، وتثبيطهم وتخذيلهم لو شاع بينهم. وبالفعل تحقق لـــه بعض ما أراد، حيث صدقها المسلمون والمشركون على السواء؛ لأن النفوس كما قلنا، في أوقات الحروب مستعدة لتصديق كل ما يُشاع في أمثال هذه الأوقات.

لكن رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم لم يترك هذه الشائعة تسري بين المسلمين دون أن يتصدى لها ويقاومها، ويظهر بطلانها وزيفها، ووجد أن أمضى سلاح لذلك هو أن يظهر بشخصه حتى يراه الجميع وتخمد الشائعة، لذلك أخذ رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم يصيح بالمؤمنين: (إليّ عباد اللـه.. إليّ عباد اللـه).

فاجتمع إليه نحو ثلاثين رجلا، ومضى رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم يدعو المسلمين إليه، واستطاع بالرجال القلائل الذين معه أن يصعد فوق الجبل، فانحازت إليه الطائفة التي اعتصمت بالصخرة وقت الفرار، وفرح النبي صلى اللـه عليه و سلم بأن وجد بقيّة من رجاله يمتنع بهم، بعد أن قاوم تلك الشائعة وأخمدها، وعاد هؤلاء المسلمون، إذ وجدوا رسول اللـه؛ حيّا، وهم يحسبونه قد مات.

وممّا أنزل اللـه سبحانه وتعالى في (أُحد) من القرآن، في صدد هذه الشائعة - وهي شائعة قتل رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم - قوله تعالى يعاتب المسلمين الذين سقط في أيديهم، وانكسرت همتهم، وتركوا المعركة يائسين، لما أُشيع أن الرسول صلى اللـه عليه و سلم قد مات:{**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللـه شَيْئا وَسَيَجْزِي اللـه الشَّاكِرِينَ**}[1].

---

(1) آل عمران: 144.

فهذه الحادثة التي أذهلت المسلمين هذا الذهول يتخذها القرآن مادة للتوجيه، ويجعلها محورا لإشارات موحية[1].

أولا: غياب القيادة وحضور الرسالة:

حول هذه النقطة يقرر السيد محمد حسين فضل اللـه: في هذه الآية تأكيد قرآني على أحد المبادئ الإسلامية الإيمانية، وهو أن غياب القيادة، مهما كانت عظيمة، لا يوقف المسيرة ولا يلغي الرسالة - المبدأ؛ لأن عظمة القائد في حساب الرسالات لا تنتهي بانتهاء حياته، بل تمثّل بدلا من ذلك خطوة أولى نحو الانطلاقة المستمرة في الدرب الطويل، ومرحلة متقدمة من مراحل العمل، ثم تتبع الخطوة خطوات على الطريق وتنطلق المراحل الجديدة على درب المرحلة القديمة.

فالرسالة هي الأصل والقاعدة.. والقيادات المتتابعة تمثل دور الحَمَلة لها، فقيمتهم بمقدار ما يقدمون لها من خدمات وتضحيات، وعظمتهم بقدر ما يواجهونه من مواقف الصدق والإخلاص.. الأمر الذي يلغي من المسيرة عبادة الشخصية التي توحي بأن الشخص هو الأساس، والرسالة شأن من شؤونه، وميزة من ميزاته، وليس الأمر بالعكس.

وهكذ نجد القاعدة الإسلامية التي تربط الإنسان المؤمن بالرسالة، ولا تربطه بالشخص إلاّ من خلال الرسالة، فلا تموت الرسالة بموته.. ممثلة في بعض النماذج المؤمنة في ذلك الوقت[2].

ثانيا: الارتداد:

بعد تقرير هذه الحقيقة والتأكيد عليها، ينتقل النص إلى استنكار انقلاب البعض على عقبيه: {**أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**}.

ليعقب هذا الاستنكار تهديد صريح: {وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللـه شَيْئا}.

---

(1) بحوث في الإعلام الإسلامي: 52، مرجع سابق.

(2) من وحي القرآن: 194 ـ 196، مرجع سابق.

وفي التعبير تصوير حي للارتداد: {**انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**..} {**وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ**}.

فهذه الحركة الحسّية في الانقلاب تجسّم معنى الارتداد عن هذه العقيدة كأنه منظر مشهود. والمقصود أصلا ليس حركة الارتداد الحسيّة بالهزيمة في المعركة، ولكن حركة الارتداد النفسية التي صاحبتها، حينما هتف الهاتف:(إن محمدا قد قُتل). فأحسّ بعض المسلمين أن لا جدوى إذن من قتال المشركين، وبموت محمد انتهى أمر هذا الدين، وانتهى أمر الجهاد للمشركين!

فهذه الحركة النفسية يجسّمها التعبير هنا، فيصورها حركة ارتداد على الأعقاب، كارتدادهم في المعركة على الأعقاب! وهذا هو الذي حذرهم إيّاه النضر بن أنس، وكأنّما أراد اللـه سبحانه بهذه الحادثة، وبهذه الآية، أن يفطم المسلمين عن تعلقهم الشديد بشخص النبي صلى اللـه عليه و سلم وهو حي بينهم، وأن يصلهم مباشرة بالنبع. النبع الذي لم يفجره محمد صلى اللـه عليه و سلم ، ولكن جاء فقط ليومي إليه، ويدعو البشر إلى فيضه المتدفق، كما أومأ إليه الرسل من قبل، ودعوا القافلة إلى الارتواء منه!.

وكأنما كان اللـه سبحانه يعدّ الجماعة المسلمة لتلقي هذه الصدمة الكبرى حين تقع، وهو سبحانه يعلم أن وقعها عليهم يكاد يتجاوز طاقتهم. فشاء أن يدربهم عليها هذا التدريب، وأن يصلهم به، وبدعوته الباقية قبل أن يستبد بهم الدهشة والذهول[1].

ثالثا: شكر السائرين على الخط:

بعد أن أكدت الآية الكريمة مبدأ أن الذي ينقلب على عقبيه، بعد موت الرسول سوف يضرّ نفسه ولن يضر اللـه شيئا، لأن رسالات اللـه لا تتوقف أو تتجمد عند كفر كافر، أو انحراف منحرف مهما كان دوره، ومهما كانت درجته وطبقته.

ثم انعطفت الآية إلى السائرين على خط الحق، فاعتبرت ذلك شكرا لله كما

---

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق.

يجب أن يشكر وهو ما يمثّله الشكر العملي الذي يتحوّل إلى موقف للعمل، ولا يظل مجرد كلمة تتحرك في الشفاه، ووعدت هؤلاء بأن اللـه سيجزيهم على ذلك جزاء موفورا[1].

وقفة للتذكير

بعد هذا الاستنكار والتهديد ،يمضي السياق في خطوة تذكيرية إلى الحديث في تاريخ النبوّات السابقة؛ ليربط تجربة الحاضر بتجربة الماضي، وليثير أمام جيل التجربة الجديدة ما يبعث فيهم روحا حيّة متحركة، تثير فيهم قوة الاندفاع والحركة[2]:

{**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللـه وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ و اللـه يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللـه ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ و اللـه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}[3].

وهنا يضرب اللـه للمسلمين المثل من إخوانهم المؤمنين قبلهم، من موكب الإيمان اللاحب الممتد على طول الطريق، الضارب في جذور الزمان.. من أولئك الذين صدقوا في إيمانهم، وقاتلوا مع أبنائهم، فلم يجزعوا عند الابتلاء، وتأدبوا - وهم مقدمون على الموت - بالأدب الإيماني في هذا المقام، مقام الجهاد، فلم يزيدوا على أن يستغفروا ربهم، وأن يجسّموا أخطاءهم فيروها (إسرافا) في أمرهم، وأن يطلبوا من ربهم الثبات والنصر على الكفار.. وبذلك نالوا ثواب الدارين، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء، وإحسانهم في موقف الجهاد. وكانوا مثلا يضربه اللـه للمسلمين.

---

(1) من وحي القرآن، مرجع سابق.

(2) المصدر السابق.

(3) سورة آل عمران: 146 ـ 148.

لقد كانت الهزيمة في (أحد) هي أول هزيمة تصدم المسلمين، الذين نصرهم الـلـه ببدر وهم ضعاف قليل، فكأنّما وقر في نفوسهم أن النصر في كل موقعة هو السنة الكونيّة، فلما أن صدمتهم أحد فوجئوا بالابتلاء كأنهم لا ينتظرونه[1].

تلك هي الصورة في مجتمع النبوات السابقة، وتلك هي الصورة التي يريد الـلـه للمجتمع المسلم أن يستعيدها في نفسه، عندما تضيق به الأمور، وتحيق به الهزائم، وتجتمع في آفاقه الأزمات، وتتضافر عليه قوى الشر، فيسأل الـلـه الفرج حيث لا فرج، والمدد حيث لا مدد فتسكن النفس، ويرتاح القلب، وينفتح للحياة على الـلـه درب طويل لا نهاية لـــه تخضر فيه الأرواح، وتنبت فيه كل الجنائن الروحية التي يزهر فيها الورد، وتتفتح فيها براعم الرياحين.. ويبدأ الإنسان حياته الجديدة الآمنة المطمئنة في آفاق الـلـه[2].

المتربّصون يبلبلون الأفكار

ولكن المسألة لم تقف عند هذا الحد، وأحداث المعركة لم تنته، فإذا ما أُسدل الستار على مشهد من مشاهدها، فسرعان ما يبدأ فصل آخر، تهدأ فيه قرقعة السيوف.. لتسعر حمّى سلاح آخر من نوع آخر- لعله الأخطر- إنه سلاح الإشاعة. ولهذا يمضي السياق خطوة أخرى في استعراض أحداث المعركة واتخاذها محورا للتعقيبات، يتوخى بها تصحيح التصوّر، وتربية الضمائر، والتحذير من مزالق الطريق، والتنبيه إلى ما يحيط بالجماعة المسلمة من الكيد، وما يبيّته لها أعداؤها المتربصون.

ولقد كانت الهزيمة في (أحد) مجالا لدسائس الكفار والمنافقين واليهود في المدينة، وكانت المدينة لم تخلص بعد للإسلام، بل لا يزال المسلمون فيها نبتة غريبة إلى حد كبير، نبتة غريبة أحاطتها (بدر) بسياج من الرهبة، بما كان فيها من النصر

---

(1) في ظلال القرآن 1: 488.

(2) من وحي القرآن 6: 200 ـ 201.

الأبلج. فلما كانت الهزيمة في أحد تغيّر الموقف إلى حد كبير، وسنحت الفرصة لهؤلاء الأعداء المتربصين أن يظهروا أحقادهم، وأن ينفثوا سمومهم، وأن يجدوا في جو الفجائع التي دخلت كل بيت من بيوت المسلمين - خاصة بيوت الشهداء ومن أصابتهم الجراح المثخنة - ما يساعد على ترويج الكيد والدس والبلبلة في الأفكار والصفوف:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ * بَلِ اللــه مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللــه وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ و اللــه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّا بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ و اللــه خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَة نُّعَاسا يَغْشَى طَآئِفَة مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللــه مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ و اللــه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللــه عَنْهُمْ إِنَّ اللــه غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللــه ذَلِكَ حَسْرَة فِي قُلُوبِهِمْ و اللــه يُحْيِي وَيُمِيتُ و اللــه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللــه أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللــه وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللــه تُحْشَرُونَ}[1].

(1) آل عمران: 149 ـ 158.

وحين ننظر في هذه المجموعة من الآيات نظرة فاحصة نجدها قد ضمّت جوانحها على حشد ضخم من المشاهد الفائضة بالحيوية، ومن الحقائق الكبيرة الأصلية في التصور الإسلامي، وفي الحياة الإنسانية، وفي السنن الكونيّة.. نجدها تصور المعركة كلها بلمسات سريعة حيّة متحركة عميقة، فلا تدع منها جانبا إلاّ سجلته تسجيلا يستجيش المشاعر والخواطر، وهي بدون شك أشد حيوية وأشد استحضارا للمعركة بجوها وملابساتها ووقائعها، وبكل الخلجات النفسية والحركات الشعورية المصاحبة لها.. من كل تصوير آخر ورد في روايات السيرة - على طولها وتشعبها - ثم نجدها تضم جوانحها على ذلك الحشد من الحقائق، في صورتها الحية الفاعلة في النفوس، البانية للتصور الصحيح[1].

وسنحاول هنا الوقوف سريعا أمام المشاهد ذات العلاقة بالبحث: {**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم**}.

هذا خطاب للمؤمنين يحذرهم اللـه من أن يطيعوا الكفار، وبيّن أنهم إن أطاعوهم ردوهم كافرين. والمعني بـ(الذين كفروا) - كما قيل - صنفان:

أحدهما: عن الحسن، وابن جريج قالا: إنهم اليهود والنصارى، أي إن تستنصحوهم وتقبلوا رأيهم يردوكم خاسرين.

وثانيهما: عن السدّي قال: أراد: إن تطيعوا أبا سفيان وأصحابه يرجعوكم كافرين. والطاعة موافقة الإرادة المرغّبة في الفعل[2].

ولا يبعد أن يستفاد من السياق أن الكفار كانوا أيّام نزول الآيات بعد غزوة أحد، يلقون إلى المؤمنين - في صورة النصح - ما يثبّطهم عن القتال، ويلقي التنازع والتفرقة وتشتت الكلمة واختلافها بينهم، وربما أيده ما في آخر هذه الآيات من قوله: {**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**} إلى أن قال: {**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**}.

---

(1) في ظلال القرآن 1: 490.

(2) التبيان في تفسير القرآن 3: 14.

وربما قيل: إن الآية إشارة إلى قول اليهود والمنافقين يوم أحد: (إن محمدا قد قتل فارجعوا إلى عشائركم)[1].

لقد انتهز الكفار والمنافقون واليهود في المدينة ما أصاب المسلمين من الهزيمة والقتل والقرح، ليثبطوا عزائمهم، ويخوفوهم عاقبة السير مع محمد، ويصوروا لهم مخاوف القتال وعواقب الاشتباك مع مشركي قريش وحلفائهم، وجو الهزيمة هو أصلح الأجواء لبلبلة القلوب، وخلخلة الصفوف، وإشاعة عدم الثقة في القيادة، والتشكيك في جدوى الإصرار على المعركة مع الأقوياء، وتزيين الانسحاب منها، ومسالمة المنتصرين فيها، مع إثارة المواجع الشخصية والآلام الفردية، وتحويلها كلها لهدم كيان الجماعة، ثم لهدم كيان العقيدة، ثم للاستسلام للأقوياء الغالبين.

ومن ثم يحذر اللـه الذين آمنوا أن يطيعوا الذين كفروا. فطاعة الذين كفروا عاقبتها الخسارة المؤكدة وليس فيها ربح ولا منفعة، بل فيها الانقلاب على الأعقاب إلى الكفر. فالمؤمن إمّا أن يمضي في طريقه يجاهد الكفر والكفار، ويكافح الباطل والمبطلين، وأما أن يرتد على عقبيه كافرا -والعياذ بالله - ومحال أن يقف سلبيا بين بين، محافظا على موقفه، ومحتفظا بدينه.. إنه قد يخيّل إليه هذا.. يخيّل إليه في أعقاب الهزيمة، وتحت وطأة الجرح والقرح، أنه مستطيع أن ينسحب من المعركة مع الأقوياء الغالبين، وأن يسالمهم ويطيعهم، وهو مع هذا محتفظ بدينه وعقيدته وإيمانه وكيانه! وهذا وهم كبير.

فالذي لا يتحرك إلى الأمام في هذا المجال لابد أن يرتد إلى الوراء، والذي لا يكافح الكفر والشر والضلال والباطل والطغيان، لابد أن يتخاذل ويتقهقر ويرتد على عقبيه إلى الكفر والشر والضلال والباطل والطغيان.

والذي لا تعصمه عقيدته ولا يعصمه إيمانه من طاعة الكافرين، والاستماع إليهم، والثقة بهم يتنازل - في الحقيقة - عن عقيدته وإيمانه منذ اللحظة الأولى.. إنها

---

(1) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن 4: 42ـ43 (طبعة بيروت).

الهزيمة الروحية أن يركن صاحب العقيدة إلى أعداء عقيدته، وأن يستمع إلى وسوستهم، وأن يطيع توجيهاتهم[1].

إن حالة الهزيمة قد تخلق لدى الإنسان وضعا صعبا، يؤدي إلى الانهيار والانسحاق والضياع في بعض الأحيان، وقد ينتهي به ذلك إلى البحث عن مخرج للمأزق الذي وقع فيه.. وقد يتمثل ذلك في الوقوع في قبضة مخطط الكفر، في التنازل عن بعض المبادئ الأساسية، وفي الدخول في بعض المشاريع المحرمة، والسير في الدروب الملتوية التي لا تؤدي إلى خير وصلاح، وذلك من أجل الحصول على الأمن المستقبلي، من مراكز القوى المنتصرة والكافرة[2].

وإذا كان مبعث الميل إلى طاعة الذين كفروا هو رجاء الحماية والنصرة عندهم، فهو وهم، يضرب السياق صفحا عنه، ليذكرهم بحقيقة النصرة والحماية: {**بَلِ اللـه مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**}.

فهذه هي الجهة التي يطلب المؤمنون عندها الولاية ويطلبون عندها النصرة، ومن كان اللـه مولاه فما حاجته إلى ولاية أحد من خلقه؟ ومن كان اللـه ناصره فما حاجته إلى نصرة من العبيد؟[3]

وبعد أن يمضي السياق في بيان حقيقة قدر اللـه في الموت والحياة، وزيف تصورات الكفار المنافقين عن هذا الأمر، مناديا الذين آمنوا بالتحذير من أن تكون تصوراتهم كتصورات هؤلاء، ويردهم في النهاية إلى قيم أخرى، وإلى اعتبارات ترجح الآلام والتضحيات: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ**}.

وفي مكان لاحق من السورة يأتي قوله تعالى: {**الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**}[4].

---

(1) في ظلال القرآن 1: 491.

(2) من وحي القرآن 6: 202.

(3) في ظلال القرآن 1: 491.

(4) آل عمران: 168.

وعلى ما يبدو إن هذه التقولات، التي كان المتربصون والمخلفون يشيعونها بين صفوف المسلمين، قد شقّت طريقها إلى ذوي النفوس الضعيفة، الذين راحوا بدورهم يرددون ما يقوله المتصيدون في الماء العكر بأسلوب آخر، وتساؤل آخر:

{**يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ**} .

{**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا**}!.

وهذا هو الهاجس الذي يجيش في النفوس التي لم تخلص للعقيدة حينما تصطدم في موقعة بالهزيمة. وحينما تعاني آلام الهزيمة! حين ترى الثمن أفدح مما كانت تظن، وأن الثمرة أشد مرارة مما كانت تتوقع.. وحين تفتش في ضمائرها فلا ترى الأمر واضحا ولا مستقرا، وحين تتخيل أن تصرّف القيادة هو الذي ألقى بها في هذه المهلكة، وكانت في نجوة من الأمر لو كان أمرها في يدها! وهي لا يمكن - بهذا الغبش في التصور - أن ترى يد اللـه وراء الأحداث، ولا حكمته في الابتلاء، إنما المسألة كلها في اعتبارها خسارة في خسارة! وضياع في ضياع!.

أمّا أولئك الذين حاولوا خلخلة الصفوف والنفوس فإنهم لم يكتفوا بالتخلّف - والمعركة على الأبواب - وما يحدثه هذا التخلف من رجة وزلزلة في الصفوف والنفوس، وخاصة أن عبد اللـه بن أُبي (رأس النفاق) كان ما يزال سيدا في قومه، ولم يُكشف لهم نفاقه بعد، ولم يصفه اللـه بهذا الوصف الذي يهز مقامه في نفوس المسلمين منهم. بل راحوا يثيرون الزلزلة والحسرة في قلوب أهل الشهداء وأصحابهم بعد المعركة وهم يقولون: {**لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**}....

فيجعلون من تخلفهم حكمة ومصلحة، ويجعلون من طاعة الرسول صلى اللـه عليه و سلم وأتباعه مغرما ومضرّة. وأكثر من هذا كله يفسدون التصور الإسلامي الناصح لقدر اللـه ولحتمية الأجل، ولحقيقة الموت والحياة، وتعلقهما بقدر اللـه وحده.. ومن ثم يبادرهم بالرد الحاسم الناصع الذي يرد كيدهم من ناحية ويصحح التصور الإسلامي ويجلو عنه الغبش من ناحية: {**قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**}.

فالموت يصيب المجاهد والقاعد، والشجاع والجبان، ولا يرده حرص ولا حذر

ولا يؤجله جبن ولا قعود.. والواقع هو البرهان الذي لا يقبل المراء.. وهذا الواقع هو الذي يجبههم به القرآن الكريم، فيرد كيدهم اللئيم، ويقرّ الحق في نصابه ويثبّت قلوب المسلمين، ويسكب عليها الطمأنينة والراحة واليقين.

ومما يلفت النظر في الاستعراض القرآني لأحداث المعركة تأخيره ذكر هذا الحادث - حادث نكول عبد اللـه بن أبي ومن معه عن المعركة - وقد وقع في أول أحداثها وقبل ابتدائها، وهذا التأخير يحمل سمة من سمات منهج التربية القرآنية، فقد أخره حتى يقرر جملة القواعد الأساسية للتصور الإسلامي التي قررها، وحتى يقر في الأخلاد جملة المشاعر الصحيحة التي أقرها، وحتى يضع تلك الموازين الصادقة للقيم التي وضعها..

ثم يشير هذه الإشارة إلى {**إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا**} وفعلتهم وتصرفهم بعدها، وقد تهيأت النفوس لإدراك ما في هذه الفعلة وما في هذا التصرف من انحراف عن التصور الصحيح، وعن القيم الصحيحة في الميزان الصحيح..

وهكذا ينبغي أن تنشأ التصورات والقيم الإيمانية في النفس المسلمة وأن توضع لها الموازين الصحيحة التي تعود إليها لاختبار التصورات والقيم، ووزن الأعمال والأشخاص، ثم تعرض عليها الأعمال والأشخاص - بعد ذلك - فتحكم عليها الحكم المستنير الصحيح، بذلك الحس الإيماني الصحيح.

ولعل هنالك لفتة أخرى من لفتات المنهج الفريد. فعبد اللـه بن أبي كان إلى ذلك الحين ما يزال عظيما في قومه - كما أسلفنا - وقد ورم أنفه لأن النبي صلى اللـه عليه و سلم لم يأخذ برأيه، وقد أحدث تصرف هذا المنافق الكبير رجّة في الصف المسلم وبلبلة في الأفكار، كما أحدثت أقاويله بعد ذلك عن القتلى حسرات في القلوب وبلبلة في الخواطر، فكان من حكمة المنهج إظهار الاستهانة به وبفعلته وبقوله، وعدم تصدير الاستعراض القرآني لأحداث الغزوة بذلك الحادث الذي وقع في أولها، وتأخيره إلى هذا الموضع المتأخر من السياق مع وصف الفئة التي قامت به بوصفها الصحيح: {**الَّذِينَ نَافَقُوا**} والتعجب من أمرهم في هذه الصيغة المجملة: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا**} وعدم إبراز

اسم كبيرهم أو شخصه، ليبقى نكرة في: {**الَّذِينَ نَافَقُوا**} كما يستحق من يفعل فعلته، وكما تساوي حقيقته في ميزان الإيمان[1].

وتصل الاستهانة برأس النفاق وجيش الشرك إلى مدياتها البعيدة، حينما يأتي الغد - بعد يوم أحد مباشرة - فيؤذن رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، كما يذكر ابن إسحاق[2].

وبهذا يكون الرسول صلى الـلـه عليه و سلم قد وجه الحرب النفسية ضد الأعداء، وعهد إلى توظيف حاذق لها، وذلك عندما رأى الضعف والوهن في جيشه بعد المعركة وإحساس المشركين بالتفوّق والنصر، أراد أن يحطّم معنوية الأعداء، ويعيد لأصحابه الثبات والقوة المعنوية، فطلب منهم أن يتجهزوا بعيد معركة أحد، وينفروا لقتال العدو ومطاردته، وهو في طريق انسحابه إلى مكة، ليعرف الناس أن المسلمين ما زالوا أقوياء، ولهم القدرة على شن الهجمات، وأن العدو يتقهقر أمامهم، فيتغيّر الموقف الإعلامي لصالح الدعوة الإسلامية، فاستجاب له أصحابه، ومارس هذا العمل الجهادي الإعلامي، وحقق عن طريقه نتائج إعلامية باهرة، فأنزل الـلـه سبحانه آيات تثني على هذا الموقف، وتعظّم المجاهدين، وتبشّرهم بالانتصار[3].

قال تعالى: {**الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانا وَقَالُواْ حَسْبُنَا الـلـه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**}[4].

إنهم أولئك الذين دعاهم الرسول صلى الـلـه عليه و سلم إلى الخروج معه كرّة أخرى غداة المعركة المريرة وهم مثخنون بالجراح، وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس في المعركة، وهم لم ينسوا بعد هول المعركة، ومرارة الهزيمة، وشدّة الكرب، وقد فقدوا من

---

(1) في ظلال القرآن: 496، 516.

(2) لمزيد من الاطلاع على وقائع معركة أحد يراجع كتاب سيرة ابن هشام3: 64ـ187.

(3) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 17 ـ 18.

(4) سورة آل عمران: 172 ـ 173.

أعزائهم من فقدوا، فقلّ عددهم فوق ما هم مثخنون بالجراح!.

ولكن رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم دعاهم وحدهم ولم يأذن لأحد تخلّف عن الغزوة أن يخرج معهم - ليقويهم ويكثر عددهم كما كان يمكن أن يُقال - فاستجابوا.. استجابوا لدعوة الرسول صلى اللـه عليه و سلم ، وهي دعوة اللـه - كما يقرر السياق وكما هي في حقيقتها، وفي مفهومهم كذلك - فاستجابوا بهذا لله والرسول {**مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ**} ونزل بهم الضر، وأثخنتهم الجراح.

لقد دعاهم رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم ودعاهم وحدهم. وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة تحمل إيحاءات شتى، وتومئ إلى حقائق كبرى نشير إلى شيء منها:

فلعل رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم شاء ألا يكون آخر ما تنضم عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم، هو شعور الهزيمة، وآلام البرح والقرح، فاستنهضهم لمتابعة قريش وتعقبها؛ كي يقر في أخلادهم أنها تجربة وابتلاء، وليست نهاية المطاف، وأنهم بعد ذلك أقوياء، وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء، إنما هي واحدة وتمضي، ولهم الكرّة عليهم، متى نفضوا عنهم الضعف والفشل، واستجابوا لدعوة اللـه والرسول.

ولعل رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم شاء في الجانب الآخر ألاّ تمضي قريش في جوانحها ومشاعرها أخيلة النصر ومذاقاته. فمضى خلف قريش بالبقية ممن حضروا المعركة أمس، يشعر قريشا أنها لم تنل من المسلمين منالا. وأنه بقي لها منهم من يتعقبها ويكرّ عليها.

وقد تحققت هذه وتلك، كما ذكرت روايات السيرة.

ولعل رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم شاء أن يشعر المسلمين، وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم، بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وجدت في هذه الأرض.. حقيقة أن هناك عقيدة، هي كل شيء في نفوس أصحابها.

وينظر الإنسان في هذه الصورة وفي هذا الموقف، فيحس كأن كيان الجماعة كله قد تبدل ما بين يوم وليلة، نضجت وتناسقت، واطمأنت إلى الأرض التي تقف عليها، وانجلى الغبش عن تصورها، وأخذت الأمر جدا كله، وخلصت من تلك الأرجحة

والقلقلة التي حدثت بالأمس فقط في التصورات والصفوف.

فما كانت سوى ليلة واحدة هي التي تفرق بين موقف الجماعة اليوم وموقفها بالأمس.. والفارق هائل والمسافة بعيدة..

لقد فعلت التجربة المريرة فعلها في النفوس، وقد هزتها الحادثة هزّا عنيفا أطار الغبش، وأيقظ القلوب، وثبت الأقدام، وملأ النفوس بالعزم والتصميم.

نعم، وكان فضل اللـه عظيما في الابتلاء المرير[1].

وتنتهي معركة أحد، ولكن المعركة الدائبة بين الإسلام وأعدائه لم تنته حتى يوم الناس هذا. إنّها المعركة التي تستخدم فيها كل الوسائل: الجدل والمراء، التشكيك والبلبلة، الكيد والدس، التربص والتدبير.. وتختلف وسائل الابتلاء والفتنة باختلاف الزمان، وتختلف وسائل الدعاية ضد الجماعة المسلمة، ووسائل إيذائها في سمعتها وفي مقوماتها وفي أعراضها وفي أهدافها وأغراضها.. ولكن القاعدة واحدة: {**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذى كَثِيرا**}.

ويبقى هذا التوجيه القرآني رصيدا للجماعة المسلمة كلّما همّت أن تتحرك بهذه العقيدة وأن تحاول تحقيق منهج اللـه في الأرض، فتجمعت عليها وسائل الكيد والفتنة، ووسائل الدعاية الحديثة لتشويه أهدافها وتمزيق أوصالها.. يبقى هذا التوجيه القرآني حاضرا يجلو لأبصارها طبيعة هذه الدعوة، وطبيعة طريقها، وطبيعة أعدائها الراصدين لها في الطريق ويبث في قلبها الطمأنينة لكل ما تلقاه من وعد اللـه ذاك. فتعرف حين تتناوشها الذئاب بالأذى، وحين تعوي حولها بالدعاية، وحين يصيبها الابتلاء والفتنة، أنها سائرة في الطريق وأنها ترى معالم الطريق[2].

وهكذا يوضّح لنا القرآن الكريم الحقائق الأساسية لمعالم الأسلوب والمنهج الإعلامي في مواجهة أعداء اللـه، في غمرة الصراع الحضاري الذي نخوض غماره.

---

(1) في ظلال القرآن: 519 ـ 521.

(2) المصدر السابق: 540.

نماذج منتقاة من صور
التخويف والإرجاف و التثبيط

واجه الأنبياء في مسيرتهم الربانيّة، الكثير من أساليب الحرب النفسيّة، من قبل الرأي العام الكافر، وقد لاقى الرسول **صلى الـلـه عليه و سلم** من المشركين والمنافقين واليهود حربا لا هوادة فيها ماديّا ونفسيّا.. من تكذيب ودعاية وشائعة وإغراء بالمال والملك والتخويف والإرهاب، في مكة أولا وفي المدينة ثانيا..

ففي مكة كذّب المشركون رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون.. كما لجأت قريش إلى أسلوب السخرية وهو من أساليب الحرب النفسية؛

{**وَإِذَا رآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاّ هُزُوا**}[1].

وإلى التشهير والشتم للتقليل من شأن رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم وإظهار ضعفه أمام الناس، ولجأت قريش أيضا إلى أسلوب التشويش والتعتيم الإعلامي أيضا، حتى لا تصل الحقائق إلى الآخرين: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**}[2].

وكذلك لجأت قريش إلى التيئيس والتعجيز والضغط العائلي، والإغراء بالملك والمال، والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية في شعب أبي طالب ، وفي النهاية لجأت إلى الإرهاب والتآمر على قتله صلى الـلـه عليه و سلم .

أما في المدينة المنورة، بعد أن هاجر إليها رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، فنجد أن الحرب النفسية شُنّت عليه من جبهتين، وهما؛ جبهة المنافقين، وجبهة اليهود[3].

وقد استخدم هؤلاء شتّى أنواع الشائعات لإثارة الفتنة، ورزع الفرقة، وخلخلة الصف، وتحطيم معنوية المسلمين.

وقد كان في داخل الصف المسلم يومذاك من كان يتناول الشائعات، فيذيع بها

---

(1) الأنبياء: 26.

(2) فصلت: 6.

(3) فهمي قطب الدين النجار، الإعلام والبيت المسلم: 60. الكويت، 1405هـ ـ 1985م.

في الصف، محدثا ما يحدثه من البلبلة، قبل أن يتثبّت من القيادة التي يتبعها[1].

وفيما يلي نستعرض نماذج لأهم تلك الشائعات التي روجها أعداء الإسلام أو التي خاض فيها بعض ضعفاء الإيمان وقليلي الوعي من المسلمين.

المبطئون الشامتون !

ما بين أُحد والأحزاب اشتدت المحنة على المسلمين، فكان هناك اليهود ومشركو مكة، وهناك ثالثة الأثافي؛ المنافقون، وهم ذوو قوة وشوكة، وقد بان يوم أحد أن لهم عددا لا ينقص عن نصف عدة المؤمنين بكثير، وكانوا يقلبون الأمور على رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ويتربصون به الدوائر، ويثبطون المؤمنين وفيهم مرضى القلوب سماعون لهم[2].

على أن ثمة مفردة برزت لدى البعض، ممّن يبطّئ نفسه عن الجهاد في سبيل الـلـه، ومن يبطّئ غيره، ثم يحسبها غنيمة إذا لم يخرج فسلم، على حين أصابت المسلمين مصيبة! كما يعدها خسارة إذا لم يخرج وغنم المسلمون، لأنه لم يكن لـــه سهم في الغنيمة، وبذلك يشتري الدنيا بالآخرة[3].

وها هو قوله تعالى يفصح عن هذه المسألة:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعا * وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ الـلـه عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ الـلـه لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزا عَظِيما}[4].

---

(1) في ظلال القرآن 2: 702.

(2) العلاّمة الطباطبائي؛ الميزان في تفسير القرآن 4: 415 (ط بيروت 1394هـ ـ 1974م).

(3) في ظلال القرآن، مصدر سابق.

(4) النساء: 71 ـ 73.

بعض المفسرين رجحوا أن تكون هذه الآيات قد نزلت في وقت مبكر، وتحديدا في الربع الثاني من زمن إقامة رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم بالمدينة، كما يذهب إلى ذلك العلامة الطباطبائي[1]، وربما كان ذلك بعد غزوة أحد، وقبل الخندق، كما يذهب إليه بعض المفسرين. ويستدلّ على هذا الترجيح بقوله: (فصورة الصف المسلم التي تبدو من خلال هذه الآيات توحي بهذا. توحي بوجود جماعات منوعة في داخل الصف، لم تنضج بعد، أو لم تؤمن إنما هي تنافق! وتوحي بأن الصف كان في حاجة إلى جهود ضخمة من التربية والتوجيه، ومن الاستنهاض والتشجيع..

فهنا نرى تصويرا منفردا للمبطئين يبدو فيه سقوط الهمة، وحب المنفعة القريبة والتلوّن من حال إلى حال، حسب اختلاف الأحوال!، وكذلك نرى التعجّب من حال أولئك الذين كانوا شديدي التحمّس في مكة للقتال، فلما كتب عليهم في المدينة عراهم الجزع)[2].

وهؤلاء تبتلي بهم المسيرات، فهم دائما يحثون الخطى، ويستعجلون النتائج، فيحرقون المراحل، وبالتالي فإن بوادر الإنهاك تصيبهم قبل غيرهم، ويصبحون عامل إعاقة وتثبيط وشماتة!

وحينما تصل درجة خطورتهم إلى هذا الحد، يأتي الخطاب القرآني موجها ومحذرا، من مغبّة استشراء هذه المفردة، ولكي لا تتحول إلى ظاهرة أو حالة تكون المواجهة: (انفروا جماعات نظاميّة، أو انفروا جميعا، ولا ينفر بعضكم ويتثاقل بعضكم - كما هو واقع - وخذوا حذركم، لا من العدو الخارجي وحده، ولكن كذلك من المعوّقين المبطّئين المخذّلين، سواء كانوا يبطئون أنفسهم - أي يقعدون متثاقلين - أو يبطّئون غيرهم معهم، وهو الذي يقع عادة من المخذّلين المثبّطين!

ولفظة (ليبطئن) مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثّر، وإن اللسان ليتعثّر

---

(1) الميزان، مصدر سابق.

(2) في ظلال القرآن: 701ـ 703، مصدر سابق.

في حروفها وجرسها، حتى يأتي على آخرها، وهو يشدّها شدّا، وإنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويرا كاملا بهذا التعثر والتثاقل في حربها، وذلك من بدائع التصوير الفني في القرآن الذي يرسم حالة كاملة بلفظة واحدة)[1].

إطالة مدّة العمل لقلّة الانبعاث. وضده الإسراع. وهو قصر مدّة العمل، للتدبير فيه، تقول: بطؤ في مشيه يبطؤ بطاء: إذا ثقل وتباطأ تباطيا وبطأه تبطّيا واستبطأ استبطاء وأبطأ إبطاء إذا تأخر[2]. والمراد هنا من (يتثاقل ويضع العراقيل والعقبات في طريق الجهاد)[3].

وكذلك يشي تركيب الجملة كلها: {**وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ**}، بأن هؤلاء المبطّئين - وهم معدودون من المسلمين – (منكم) يزاولون عملية التبطئة كاملة، ويصرّون عليها إصرارا، ويجتهدون فيها اجتهادا، وذلك بأسلوب التوكيد بشتى المؤكدات في الجملة!، مما يوحي بشدّة إصرار هذه المجموعة على التبطئة، وشدّة أثرها في الصف المسلم، وشدّة ما يلقاه منها!.

ومن ثم يسلّط السياق الأضواء الكاشفة عليهم، وعلى دخيلة نفوسهم، ويرسم حقيقتهم المنفّرة، على طريقة القرآن التصويرية العجيبة.

فها هم أولاء، بكل بواعثهم، وبكل طبيعتهم وبكل أعمالهم وأقوالهم.. ها هم أولاء مكشوفون للأعين، كما لو كانوا قد وضعوا تحت المجهر، يكشف النوايا والسرائر، ويكشف البواعث والدوافع.

ها هم أولاء - كما كانوا على عهد الرسول صلى اللـه عليه و سلم وكما يكونون في كل زمان وكل مكان - .

ها هم أولاء؛ ضعاف. منافقون. متلونون. صغار الاهتمامات أيضا، لا يعرفون غاية أعلى من صالحهم الشخصي المباشر، ولا أفقا أعلى من ذواتهم المحدودة الصغيرة،

---

(1) المرجع نفسه: 705.

(2) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن5: 255 (ط. دار إحياء التراث العربي).

(3) محمد جواد مغنية، التفسير المبين: 112 (د. ت).

فهم يريدون الدنيا كلها على محور واحد، وهمّهم هذا المحور الذي لا ينسونه لحظة!

إنهم يبطئون ويتلكؤون، ولا يصارحون ليمسكوا العصا من وسطها كما يُقال!، وتصورهم للربح والخسارة هو التصور الذي يليق بالمنافقين الضعاف الصغار[1].

قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج وابن زيد: نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يثبطون الناس عن الجهاد. فإذا أصابتهم مصيبة فيه، من قتل أو هزيمة، قالوا قول الشامت بهم في تلك الحال: {**قد أنعم الـلـه علينا إذ لم نكن معهم شهداء**} أي حضورا.

وقال أبو جعفر عليه السلام : (من يتمنى التأخر عن جماعة المسلمين، لا يكون إلاّ كافرا).

فقوله: {**وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ**} خطاب للمؤمنين وإنما أضاف المنافقين إليهم لأمرين:

أحدهما: أن من عدادكم دخلاؤكم.

الثاني: أي منكم في الحال الظاهرة، أو حكم الشريعة من حقن الدم، ونحو ذلك من الموارثة والمناكحة[2].

وأيا كان المقصودون في الخطاب (المنافقون أو ضعاف الإيمان)[3]، فإن السياق يمضي محاولا أن يرفع ويطلق هؤلاء المبطئين المثقلين بالطين!، وأن يوقظ في حسّهم التطلع إلى ما هو خير وأبقى.. الآخرة، وأن يدفعهم إلى بيع الدنيا وشراء الآخرة. ويعدهم على ذلك فضل الـلـه في الحالتين، وإحدى الحسنيين؛ النصر أو الشهادة:

{**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الـلـه الَّذِينَ يَشْرونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الـلـه فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرا عَظِيما**}[4].

---

(1) في ظلال القرآن: 705 – 706، م. س.

(2) التبيان: 254، مصدر سابق.

(3) تفاوت المفسرون في هذه النقطة، فمنهم من يرى أن المقصود بهم هم المنافقون، وهناك من يذهب إلى أنهم هم ضعاف الإيمان.

(4) النساء: 74.

وإنه لا يقاتل لمجد شخص، ولا لمجد بيت، ولا لمجد طبقة، ولا لمجد دولة، ولا لمجد أمة، ولا لمجد جنس، إنما يقاتل في سبيل اللـه؛ لإعلاء كلمة اللـه في الأرض، ولتمكين منهجه في تصريف الحياة. ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج، وعدالة المطلق (بين الناس) مع ترك كل فرد حرا في اختيار العقيدة التي يقتنع بها، في ظل هذا المنهج الرباني الإنساني العالمي العام[1].

المبيّتون الماكرون

ثمّة طائفة أخرى ابتلي بها الصف المسلم في تلك الفترة، كما هو في كل زمان ومكان.. يسلط القرآن الضوء عليها بعد ست آيات فقط مما تقدّم، ليحكي السياق عن حال طائفة آخرى - في الصف المسلم - أم لعلها هي طائفة المنافقين يذكر عنها فعلا جديدا، وفصلا جديدا! ومع الحكاية التنفير من الفعلة، ومع التنفير التعليم والتوجيه والتنظيم.. كل ذلك في آيات قليلة، وعبارات معدودة :

{**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ و اللـه يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللـه وَكَفَى بِالله وَكِيلا**}[2].

إن هذا الفريق من الناس إذا كان عند رسول اللـه، يسمع منه القرآن وما فيه من التكاليف.. قالوا: {**طَاعَـةٌ**}.. قالوها هكذا جامعة شاملة.. طاعة مطلقة، لا اعتراض ولا استفهام ولا استيضاح ولا استثناء! ولكن ما إن يخرجوا من عند رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم حتى تبيت طائفة منهم غير الذي تقول، وتروح فيما بينها تتآمر على عدم التنفيذ، وعلى اتخاذ خطة للتخلص من التكليف، وهي صورة ترسم تلك الخلخلة بعينها في الصف المسلم. فإن هؤلاء مندسون فيه على كل حال، وتصرفهم على هذا النحو يؤذي الصف ويخلخله، والجماعة المسلمة تخوض المعركة في كل ميادينها وبكل قوة[3].

---

(1) في ظلال القرآن: 707، مصدر سابق.

(2) النساء: 81.

(3) المصدر السابق: 720.

قال المبرد: التبييت كل شيء دُبّر ليلا، ومعنى {**بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ**} أي غير ما تقول بأن أضمروا الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه. هذا قول ابن عباس وقتادة والسدي. وقال الحسن: قدرت طائفة منهم غير الذي تقول على جهة التكذيب[1]، بمعنى أنهم كانوا يمارسون نوعا من إشاعة التثبيط، ولو على نطاق محدود، تمهيدا لمرحلة قادمة، يوضحها بشكل جلي موقف لاحق، يرسمه القرآن الكريم بدقة رائعة.

إذاعة الأمن أو الخوف

فقد ابتلى الصف المسلم ببعض ضعاف الإيمان ممّن يسمحون لأنفسهم أن يكونوا واسطة لترويج الإشاعات المغرضة التي يتلقفونها حال سماعها، وينطلقون يرددونها دون الالتفات إلى مغبّة عواقب ما يقومون به: {**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ**}[2].

ومعنى أذاعوا به: أعلنوه وأفشوه، في قول ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج، وأصله إشاعة الخبر في الجماعة، ويقال: أذاعه إذاعة وأذاعوا به. قال الشاعر (أبو الأسود الدؤلي):

أذاع به في الناس حتى كأنه   بعلياء نار أوقدت بثقوب

وأصل الإذاعة: التفريق، وذاع الخبر ذيعا، ورجل مذياع: لا يستطيع كتمان خبر، وأذاع الناس بما في الحوض: إذا شربوه.. وإذاعة السر: إظهاره، والإذاعة والإشاعة والإفشاء والإعلان والإظهار نظائر، وضدها الكتمان، والإسرار والإخفاء[3].

يقول العلامة الطباطبائي: (الإذاعة: هي النشر والإشاعة، وفي الآية ذم وتعيير

---

(1) التبيان: 269، مصدر سابق.

(2) النساء: 83.

(3) المصدر السابق: 272 ـ 273.

لهم في شأن هذه الإذاعة)[1].

وبهذا التشخيص لإحدى ثغرات الطريق اللاحب يمضي السياق يصوّر حال طائفة أُخرى. أو يصف فعلة أُخرى لطائفة في المجتمع المسلم: {**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ..**}.

والصورة التي يرسمها هذا النص، هي صورة جماعة في المعسكر الإسلامي، لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر، وفي النتائج التي تترتب عليها. وقد تكون قاصمة لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، ولم يدركوا جدّية الموقف، وأن كلمة عابرة وفلتة لسان، قد تجر من العواقب على الشخص ذاته، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال! أو ربما لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر. وهكذا لا يعنيهم ما يقع له من جرّاء أخذ كل شائعة والجري بها هنا وهناك، وإذاعتها حين يتلقاها لسان عن لسان سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف.. فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة! فإن إشاعة أمر الأمن مثلا في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة العدو.. تحدث نوعا من التراخي، مهما تكن الأوامر باليقظة؛ لأن اليقظة النابعة من التحفّز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر! وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية!.. كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته، ثابت الإقدام بسب هذه الطمأنينة.

وقد تُحدث إشاعة أمر الخوف فيه خلخلة وارتباكا، وحركات لا ضرورة لها لاتّقاء مظانّ الخوف.. وقد تكون كذلك القاضية!

وعلى أية حال فهي سمة المعسكر الذي لم يكتمل نظامه، أو لم يكتمل ولاؤه لقيادته. أو هما معا.. ويبدو أن هذه السمة وتلك كانتا واقعتين في المجتمع المسلم حينذاك، باحتوائه على طوائف مختلفة المستويات في الإيمان، ومختلفة المستويات في الولاء[2].

---

(1) الميزان 5: 210.

(2) في ظلال القرآن 5: 723 ـ 724.

وعلى ما يبدو فإن النص يتطرق إلى حالتين متضادتين في الشكل منسجمتين في المضمون، وبعبارة أخرى فإن خطورة إذاعة الأمن في حالة الاستنفار كخطورة إذاعة الخوف في حالة الطمأنينة، وبذا تغدو الصورتان المتنافرتان في الظاهر متفقتين في النتيجة، فهما أشبه ما يكونان وجهين لعملة واحدة!

ويذهب الكثير من المفسرين - كما يظهر من النص - إلى أن الأمر الذي جاءهم من الأمن والخوف كان بعض الأراجيف التي كانت تأتي بها أيدي الكفار ورسلهم المبعوثون لإيجاد النفاق والخلاف بين المؤمنين، فكان الضعفاء من المؤمنين يذيعونه من غير تدبر وتبصّر فيوجب ذلك وهنا في عزيمة المؤمنين. والمتدبر في الآية الكريمة وأجوائها لا يرتاب في أن الـلـه سبحانه يذكّر بحادثة بدر الصغرى، وهو ما ورد في موضع آخر متقدم:

{**الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانا وَقَالُواْ حَسْبُنَا الـلـه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**}.

إلى قوله تعالى: {**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**}[1].

والآيات كما نرى تذكر أن رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم كان يدعو الناس بعدما أصابهم القرح - وهو محنة أحد - للخروج إلى الكفار، وأن أناسا كانوا يخذلون الناس، ويخذّلونهم عن النبي صلى الـلـه عليه و سلم ويخوفونهم جمع المشركين[2].

ورغم وضوح هذه الحقيقة، من خلال الأجواء التي تثيرها الآية الكريمة، فإن مفسرا جليلا كالسيوطي يحاول أن يبعدها عن ذلك، فيحاول حصرها بإشاعة حول تطليق الرسول صلى الـلـه عليه و سلم نساءه، إذ يقول: (روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي صلى الـلـه عليه و سلم نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلّق رسول الـلـه

---

(1) آل عمران: 175.

(2) الميزان، مصدر سابق.

نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلّق نساءه، فنزلت هذه الآية: {**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**} فكنت أنا أستنبط ذلك الأمر)[1].

بينما في تفسيره (الدر المنثور) ينقل السيوطي، إلى جنب هذه الرواية، عدّة روايات عن ابن عباس هي أقرب للحقيقة والسياق. (عن ابن عباس في قوله تعالى: {**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به**}، قال: هذا في الإخبار، إذا غزت سريّة من المسلمين خبّر الناس عنها، فقالوا أصاب المسلمين من عدوّهم كذا وكذا، وأصاب العدو من المسلمين كذا وكذا.. فأفشوه بينهم، من غير أن يكون النبي صلى اللـه عليه و سلم هو يخبرهم به)[2].

ويكاد يجمع المفسرون على أن الآية بصدد التنديد بهذه الفئة (سواء كانوا من ضَعَفَة المسلمين أو المنافقين)، فهم موضوع الكلام في السياق السابق؛ لأنهم كانوا مما يفعلونه حينما يصل إليهم خبر من أخبار الحرب والسياسة - سواء أكان سارّا أو مسيئا ومطمئنا أو مثيرا للخوف _ أن يذيعوه بين الناس[3].

مثلث الأحزاب !

في شوال من العام الخامس للهجرة، كانت غزوة الأحزاب (الخندق) امتحانا عسيرا للمسلمين، وهم يواجهون الخطر الذي يزلزل القلوب، ويزيغ الأبصار، ويهز القناعات:

{ **إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَار وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا**

---

(1) يُراجع كتاب: لباب النقول في أسباب النزول: 70. القاهرة، 1354هـ ـ 1935م.

(2) الدر المنثور 2: 186، منشورات مكتبة المرعشي، قم، 1404هـ .

(3) محمد عزة دروزه، التفسير الحديث 9: 121 (القاهرة: 1383هـ ـ 1963م).

شَدِيدا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا الـلـه وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارا}[1].

إنها صورة الهول الذي روّع المدينة والكرب الذي شملها، والذي لم ينجُ منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة، من كل جانب من أعلاها ومن أسفلها. فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب. وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله، وسلوكها في الشدّة وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج.

ومن ثم كان الابتلاء كاملا والامتحان دقيقا، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسما لا تردد فيه.

لقد كان الموقف خطيرا، بل غاية في الخطورة، وقد وصف الـلـه تعالى المشهد وصفا معبّرا عن شدّة الأمر وهو الموقف، وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر.. حيث {**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدا**} والهول الذي يزلزل المؤمنين لابدّ أن يكون هولا مروعا رعيبا[2].

ويزداد الموقف حراجة وشدّة وهولا، كلّما كانت قريش وحلفاؤها يضيّقون خناق حصارهم على المسلمين، وما يعكسه ذلك من تداعيات الموقف المهول، وما يفرزه من اضطراب شديد داخل الصف المسلم , ولتصل الأمور مدياتها المرعبة حين تحرّك (الطابور الخامس) المتمثل يومئذ بالمنافقين والذين في قلوبهم مرض، لاستكمال حلقات المخطط الجهنمي؛ هجوم عسكري من الخارج، وإشاعة البلبلة وإطلاق الأراجيف من الداخل، بغية بث روح الهزيمة وإحداث الانكسار الداخلي تمهيدا للاستسلام والارتداد: {**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا الـلـه وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُورا**}.

---

(1) الأحزاب: 10 ـ 13.

(2) في ظلال القرآن 5: 2837.

فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل، والشدّة الآخذة بالخناق، فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد، وفرصة للتوهين والتخذيل، وبث الشك والريبة في وعد الـلـه ووعد رسوله، وهم مطمئنون أن يأخذهم أحد بما يقولون، فالواقع بظاهره يصدقهم في التوهين والتشكيك.

ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل جماعة، وموقفهم في الشدّة هو موقف إخوانهم هؤلاء، فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات، على مدار الزمان[1]، حيث لا نعدم وجود هذا النمط مبثوثا هنا وهناك متشبثّا بذرائعيته وحججه الواهية، حتى لو لم يفلح بإقناع نفسه بها قبل إقناع الآخرين. فالمهم لديه أن يظل هذا النهج خياره الوحيد، لزعزعة الهمم وتعميق الانهزامية والسلبية، أو لإبعاد الشبهة عن حقيقة موقفه وخبيئة نواياه. ويعمد البعض إلى أسلوب ليّ عنق الحقيقة تحت لافتة (مراعاة المصلحة العليا) تارة، و(عدم تفويت الفرصة) ثانية، و(ضرورة الحضور) أخرى ...إلخ. ويظل سادرا في تسويق هذه المبررات بطريقة لا تخلو - في أحيان كثيرة - من الاستخفاف بعقول الناس واستغفالهم، لحد يرقى إلى درجة الاستحمار!!

والمسألة باختصار: إن المسلمين حينما كانوا محصورين بالمشركين داخل الخندق، أخذ المرجفون والمنافقون يروجون لشائعات التخويف من العدو، في صفوف المسلمين، فعندما عظم البلاء، واشتد الخوف بين المسلمين، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونافق ناس كثيرون، وتكلموا بكلام قبيح، ومنه ما قاله معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وفي ذلك نزل قوله تعالى:

{**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا الـلـه وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُورا**}[2].

(1) المصدر السابق: 2838.

(2) الأحزاب: 12.

والأصل الذي اعتمد عليه معتب بن قشير، في اختلاق تلك الشائعة التي عمل على ترويجها بين المسلمين، لتوهينهم وتشكيكهم في وعد اللـه ووعد رسوله، حادثة كانت قد وقعت أثناء حفر الخندق حول المدينة قبل وصول المشركين، فقد روى ابن إسحاق أن سلمان الفارسي(رض) قال: (ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي صخرة، ورسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم قريب مني فلمّا رآني اضرب، ورأى شدّة المكان علي، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة ألمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى. ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى.

قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول اللـه! ما هذا الذي رأيتُ لمعَ تحت المعول وأنت تضرب؟

قال: (أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟).

قلت: نعم.

قال: (أما الأولى فإن اللـه فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية فإن اللـه فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن اللـه فتح عليّ بها المشرق)[1].

وفي هذه الآونة جاءت الأخبار أن بني قريظة نقضوا معاهدتهم مع رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم ، وانضموا إلى كتائب الأحزاب التي تحاصر المدينة، ووجم المسلمون حين علموا بهذه الأخبار[2].

وكانت فرصة متاحة لكي يبث المنافقون والمرجفون سمومهم وإشاعاتهم وتشكيكهم لخلخلة الوضع وتوهينه. وهنا بادر رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم لمسك زمام المبادرة لتفادي العواقب الوخيمة، فأخذ يبدد مخاوف المسلمين، ويبث فيهم روح الحماس، ويبشرهم بفتح اللـه ونصره:

(والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون وليهلكن اللـه كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل اللـه).

---

(1) سيرة ابن هشام 3: 230، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، أوفست بيروت 1985.

(2)د.محمد فريد محمود عزت،بحوث في الإعلام الإسلامي: 45_56، جدّة 1403هـ ـ 1983م.

بيد أن ذلك لم يمنع طائفة أخرى من نشر التوهين والبلبلة والتخذيل في صفوف المسلمين: {**وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**}.

فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف والعودة إلى بيوتهم، بحجة أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين هكذا لا موضع لها ولا محل، وبيوتهم معرضة للخطر من ورائهم. وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة فيها، ثغرة الخوف على النساء والذراري، والخطر محدق والهول جامح، والظنون لا تثبت ولا تستقر: {**وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ**}.

يستأذنون بحجة أن بيوتهم مكشوفة للعدو، متروكة بلا حماية[1].

والمقصود بـ(العورة) هنا وجود خلل فيها وأنها قاصية مكشوفة لا يأمن صاحبها دخول السارق إليها وملاحقة العدو له إلى هناك.

ثم بيّن الـلـه كذبهم بقوله: {**وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ**}، وبيّن قصدهم وما تكن صدورهم، وهو الفرار وزوال القرار بسبب الخوف[2].

وهنا يكشف القرآن عن الحقيقة ويجرّدهم عن العذر والحجة.. ويضبطهم متلبّسين بالكذب والاحتيال والجبن والفرار: {**إِن يُرِيدُونَ إِلاّ فِرَارا**}.

ويقف السياق عند هذه اللقطة الفنية المصورة لموقف البلبلة والفزع والمراوغة.. يقف ليرسم صورة نفسية لهؤلاء المنافقين والذين في قلوبهم مرض.. صورة نفسية داخلية لوهن العقيدة، وخور القلب، والاستعداد للانسلاخ من الصف، بمجرد مصادفة غير مبقين على شيء، ولا متجملين لشيء[3].

وبعد رصده لموقف البلبلة والفزع والمراوغة، وتقريعه لأولئك يستطرد القرآن الكريم إلى تقرير علم الـلـه بالمعوِّقين، الذين يقعدون عن الجهاد ويدعون غيرهم إلى القعود، ويقولون لهم {**لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**}.. ويرسم لهم صورة نفسية مبدعة.

---

(1) في ظلال القرآن 5: 2838.

(2) التفسير الكبير للفخر الرازي 25: 199.

(3) في ظلال القرآن 5: 2839.

وهي - على صدقها - تثير الضحك والسخرية من هذا النموذج المكرور في الناس.. صورة للجبن والانزواء، والفزع والهلع في ساعة الشدّة. والانتفاش وسلاطة اللسان عند الرخاء، والشح على الخير والضن ببذل أي جهد فيه. والجزع والاضطراب عند توهّم الخطر من بعيد. والتعبير القرآني يرسم هذه الصورة، في لمسات فنية مبدعة، لا سبيل إلى استبدالها أو ترجمتها في غير سياقها المعجز: {**قَدْ يَعْلَمُ الـلـه الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إلاّ قَلِيلا * أَشِحَّة عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّة عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ الـلـه أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الـلـه يَسِيرا**}[1].

ويبدأ هذا النص بتقرير علم الـلـه المؤكد بالمعوقين الذين يسعون بالتخذيل في صفوف الجماعة المسلمة. الذين يدعون إخوانهم إلى القعود: {**وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إلاّ قَلِيلا**}، ولا يشهدون الجهاد إلاّ لماما. فهم مكشوفون لعلم الـلـه، ومكرهم مكشوف[2].

وبينما كان هذا الطابور المثلث؛ (المنافقون، والذين في قلوبهم مرض، والمرجفون) يمارس دوره التخريبي، من داخل الصف المسلم، عبر الترويج للأراجيف والإشاعات، والتثبيط عن القتال، في واحدة من أشد المواقف وأحرجها.. كان هناك في مقابل المسلمين يقف التحالف المثلث؛ (مشركو قريش، يهود بني قريظة، غطفان).. ولقد عبر القرآن أصدق تعبير عن هذا الموقف الرهيب بقوله: {**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدا**}[3]، وشاءت قدرة الـلـه أن تنقشع الغمامة، وتنتهي إلى حيث نتائجها المقدرة؛ {**وَرَدَّ الـلـه الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرا وَكَفَى الـلـه الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ الـلـه قَوِيّا عَزِيزا**}[4].

---

(1) الأحزاب: 18 ـ 19.

(2) المصدر سابق: 2840.

(3) الأحزاب: 11.

(4) الأحزاب: 25.

ولم تدر الدائرة على المشركين من قريش وغطفان وحدهم، بل دارت كذلك على بني قريظة حلفاء المشركين من يهود: {**الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ الـلـه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرا**}[1].

المفسدون أبدا

ورغم هذه الهزيمة المنكرة التي لحقت بالمفسدين في موقعة الأحزاب، فإنهم لم يرعووا ولم يستفيدوا من الدرس جيدا، فراحوا يؤذون النبي صلى الـلـه عليه و سلم في نفسه وفي أهله، بل امتد إيذاؤهم ليشمل المؤمنين والمؤمنات عامة:

{**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الـلـه وَرسُولَهُ لَعَنَهُمُ الـلـه فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابا مُّهِينا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانا وَإِثْما مُّبِينا**}[2].

وهذا التشديد يشي بأنه كان في المدينة يومذاك فريق يتولى هذا الكيد للمؤمنين والمؤمنات، بنشر قالة السوء عنهم، وتدبير المؤامرات لهم، وإشاعة التهم ضدهم، وهو عامّ في كل زمان وفي كل مكان. والمؤمنون والمؤمنات عرضة لمثل هذا الكيد في كل بيئة من الأشرار والمنحرفين، والمنافقين، والذين في قلوبهم مرض، و الـلـه يتولى عنهم الرد على ذلك الكيد، ويصم أعداءهم بالإثم والبهتان. وهو أصدق القائلين.

وفي النهاية يأتي تهديد المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين الذين ينشرون الشائعات المزلزلة في صفوف الجماعة المسلمة.. تهديدهم القوي الحاسم بأنهم إذا لم يرتدعوا عمّا يأتونه من هذا كله، وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، والجماعة

(1) الأحزاب: 26 ـ 27.

(2) الأحزاب: 57 ـ 58.

المسلمة كلها، فإن الـلـه يسلط عليهم نبيه، كما سلطه على اليهود من قبل، فيطهّر منهم جو المدينة، ويطردهم من الأرض، ويبيح دمهم فحيثما وجدوا أخذوا وقتّلوا. كما جرت سنة الـلـه فيمن قبلهم من اليهود على يد النبي صلى الـلـه عليه و سلم ، وغير اليهود من المفسدين في الأرض في القرون الخالية:

{لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا * سُنَّةَ الـلـه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الـلـه تَبْدِيلا}[1].

من هذا التهديد الحاسم ندرك مدى قوة المسلمين في المدينة بعد بني قريظة، ومدى سيطرة الدولة الإسلامية عليها، وانزواء المنافقين إلاّ فيما يدبرونه من كيد خفي، لا يقدرون على الظهور، إلاّ وهم مهددون خائفون[2].

لقد أشار السياقان إلى جانب من أعمال التخريب الاجتماعي والإشاعات والأباطيل، التي كان يقوم بها هذا الطابور الخبيث ضد المسلمين، وسمعتهم ومجتمعهم وكيانهم.

وبخصوص أذى المؤمنين والمؤمنات من لدن المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، والمرجفين ينقل المفسرون ما نصه: (أي يؤذونهم من غير أن يعملوا ما يوجب أذاهم، فقد فعلوا ما هو أعظم: الإثم مع البهتان، وهو الكذب على الغير يواجهه به، فجعل إيذاء المؤمنين والمؤمنات مثل البهتان.

وقيل: يعني بذلك أذيّة اللسان. فيتحقق فيها البهتان.

وقيل: نزلت في قوم زناة كانوا يمشون في الطرقات ليلا، فإذا رأوا امرأة غمزوها، وكانوا يطلبون الإماء. عن الضحاك والسدّي والكلبي[3].

وقال النقاش: نزلت في قوم كانوا يؤذون عليّاعليه السلام .

---

(1) الأحزاب: 60 ـ 62.

(2)مصدر سابق: 2880.

(3) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن 8: 370 (ط بيروت 1379هـ).

وقيل: نزلت في منْ تكلّم في عائشة في قصة الإفك)[1].

ومما ورد في تفسير النص الثاني يقول الشيخ الطوسي ما نصّه:{**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ**} أي لئن لم يرجعوا {**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**} أي شكّ ونفاق.

وقيل: شهوة الزنى {**وَالْمُرجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ**} فالإرجاف إشاعة الباطل للاغتنام به.

والمرجفون هم الذين كانوا يطرحون الأخبار الكاذبة بما يشغلون به قلوب المؤمنين.

{**لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ**} يا محمد، والإغراء: الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه.

وقيل: معناه لنسلطنك عليهم، في قول ابن عباس.[2].

أما القرطبي فقد ذكر في النص خمس مسائل نورد الأولى منها فقط، لأنها المعنيّة في هذا البحث. إذ يقول: (قوله تعالى: {**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ**} الآية، أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد. كما روى سفيان بن سعيد، عن منصور، عن أبي رزين، قال: {**الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ**} قال: هم شيء واحد، يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء والواو مقحمة، كما قال:

إلى الملك القَرم وابن الهمام وليـــث الكتيبـــة في المُـــزْدحم

أراد إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة. وقيل: كان منهم قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبة، وقوم يشككون المسلمين. قال عكرمة وشهر بن حَوْشب: {**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**} يعني الذين في قلوبهم الزنا.

وقال طاووس: نزلت هذه الآية في أمر النساء.

وقال سلمة بن كهيل: نزلت في أصحاب الفواحش، والمعنى متقارب. وقيل: المنافقون والذين في قلوبهم مرض شيء واحد، عبر عنهم بلفظين، دليله آية المنافقين

---

(1) التبيان 8: 360.

(2) المصدر سابق 8: 360.

في أول سورة البقرة[1]. والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوؤهم من عدوّهم فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم : إنهم قد قُتلوا أو هُزموا، وأن العدو قد أتاكم قاله قتادة وغيره.

وقيل: كانوا يقولون: أصحاب الصُّفّة قوم عزّاب، فهم الذين يتعرضون للنساء.

وقيل: هم قوم من المسلمين ينطقون بالأخبار الكاذبة حبّا للفتنة. وقد كان في أصحاب الإفك قوم مسلمون، ولكنهم خاضوا حبّا للفتنة.

وقال ابن عباس: الإرجاف التماس الفتنة، والإرجاف: إشاعة الكذب والباطل للاغتنام به. وقيل تحريك القلوب، يقال: رجفت الأرض - أي تحرّكت وتزلزت - ترجف، والرَّجَفان: الاضطراب الشديد،والرجَّاف: البحر، سُمّي به لاضطرابه[2].

وفي تفسير القمي في قوله تعالى: {**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ**}: نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة يرجفون برسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، إذا خرج في بعض غزواته يقولون: قُتِلَ وأُسر فيغتمّ المسلمون لذلك، ويشكون إلى رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ،فأنزل الـلـه عزّ وجلّ في ذلك {**لئن لـم ينته**} إلى قوله {**إلا قليلا**}، أي نأمرك بإخراجهم من المدينة إلاّ قليلا[3].

إن تصعيد الموقف إزاء هؤلاء من قبل الخطاب القرآني، لَيعكس مدى خطورتهم على المجتمع المسلم، وتأثيراتهم السلبية عليه، لما يطلقون من إشاعات تبث الفرقة، وتبرز الوهن وتنشر التثبيط، وتشيع الفاحشة. هذا من جانب، ومن جانب آخر يعكس مدى الجهد المبذول من قبلهم. في هذا الاتجاه، الأمر الذي يؤكد ديدن هؤلاء في كل عصر ومصر!

---

(1) روى أبن جريج عن مجاهد قال: نزلت أربع آيات من سورة البقرة في المؤمنين، واثنتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين. راجع تفسير القرطبي 1: 192.

(2) يُراجع تفسيره المعروف بـ"الجامع لأحكام القرآن" القاهرة،1387هـ - 1967م، 14 :245.

(3) الميزان 16: 344.

تزوّج حليلة إبنه !

بعد هزيمتهم المنكرة في غزوة الخندق، بدأ المشركون واليهود والمنافقون والمتربصون يحسبون لرسالة الإسلام ألف حساب ويشعرون بأن هذه القوة الفتية لا يمكن أن تُهزم بمجرد الأسلحة والجنود.

ولم يكن السبب في مثل هذه الظروف لانتصار المسلمين وتقدمهم يوما فيوما كثرتهم في العدد، أو تفوّقهم في السلاح، أو لنفوذهم الاقتصادي والمالي، فالشيء الوحيد الذي كان يقوي ساعد المسلمين، ويقطع بهم أشواط الرقي والتقدم، إنما هو تفوقهم المعنوي الذي كان جميع أعدائهم أنفسهم يشعرون به تمام الشعور.

ومن طبيعة اللئام أنهم إذا رأوا محاسن غيرهم ومساوئ أنفسهم واضحة، وعلموا أن محاسنه هي السرّ في تقدمه ورقيّه، وأن مساوءهم ومواضع الضعف والانحلال فيهم، هي التي تضع من شأنهم وتخسرهم المعركة، يأخذهم الهم بأن يخلقوا فيه - بأية حيلة من الحيل - ما في أنفسهم من المساوئ ومواضع الضعف والفوضى، أو يرموه بما ليس فيه، ويدنسوا ذيله، ويشوّهوا سمعته، حتى لا ترى الدنيا محاسنه بدون عيب على الأقل.

فهذه العقلية الدنيئة هي التي حولت مساعي الكفار وأعداء الإسلام، في هذه المرحلة من الأعمال الحربيّة الظاهرة، إلى الحملات الرذيلة وإحداث الفتن في داخل نظام المسلمين ومجتمعهم خفية.

ولما كان القيام بهذه (الخدمة) أسهل للمنافقين - الذين هم في داخل المسلمين - من الكفار الصرحاء - في الخارج - ، قرروا لها الطريق ورسموا لها الخطة - قصدا أو بغير قصد - بأن يحدث المنافقون في المدينة الفتن من الداخل، ويحاول اليهود والمشركون استغلالها، وجني ثمارها من الخارج.

وهذه الخطة المحبكة ظهرت لأول مرة، في ذي القعدة من سنة خمس، عندما تزوج النبي صلى الـله عليه و سلم زينب بنت جحش مطلقة متبناه زيد بن حارثة، فعند ذلك قام

المنافقون في المدينة بفتنة عظيمة، وأثاروا الضجة حول قصة هذا الزواج، وأيّدهم وقوّى ساعدهم من الخارج اليهود والمشركون، وجاؤوا بالأكاذيب والافتراءات على الإسلام ونبيّه صلى الـلـه عليه و سلم ، وقالوا: (هذا محمد وقع في غرام زوجة متبناه لما نظر إليها فجأة، ولما أن اطّلع متبناه على هذا الغرام الذي وقع في قلبه لزوجته تركها له بتطليقها، فهو هكذا قد تزوج حليلة ابنه).

وقد بدأوا في نشر هذه الدعاية، وأعادوا حتى لم يسلم من الافتتان بها كثير من المسلمين أنفسهم.

ومن ثم فإن كثيرا من الروايات التي ساقها المحدثون والمفسرون، عن زواج النبي صلى الـلـه عليه و سلم بزينب، لا تزال توجد فيها أجزاء من هذه الدعاية الملفقة، وبيّنها المستشرقون في كتبهم، بعدما شحذوها شحذا، وأضافوا إليها ما ليس منها من عند أنفسهم.

وعلى الرغم من وضوح الحادثة، بذل الظالمون أقصى جهودهم في اختلاق الأكاذيب على النبي صلى الـلـه عليه و سلم ، ورميه بأشنع التهم الأخلاقية، وعملوا على إشاعتها، حتى ظهر ما ظهر من تأثير دعايتهم في المجتمع الإسلامي[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحادثة المعروفة بقوله تعالى: {**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الـلـه وَرَسُولُهُ أَمْرا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الـلـه وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُّبِينا * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ الـلـه عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ الـلـه وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا الـلـه مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ و الـلـه أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرا وَكَانَ أَمْرُ الـلـه مَفْعُولا**}[2].

يقول القرطبي: رُوي عن علي بن الحسين عليه السلام : (إن النبي صلى الـلـه عليه و سلم كان قد أوحى الـلـه تعالى إليه أن زيدا يطلّق زينب، وأنه يتزوّجها بتزويج الـلـه إياها، فلما تشكّى زيد للنبي

---

(1) أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور: 10ـ13. (د. ت).

(2) الأحزاب: 36 ـ 37.

صلى الـلـه عليه و سلم خُلُقَ زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم على جهة الأدب والوصيّة: اتّقِ الـلـه في قولك، وأمسك عليك زوجك. وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لِما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الـلـه تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الـلـه له، بأن قال: (أمسِكْ) مع علمه بأنه يطلِّق. وأعلمه أن الـلـه أحقّ بالخشية، أي في كل حال).

ويضيف القرطبي: (قال علماؤنا رحمة الـلـه عليهم : وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين.. والمراد بقوله تعالى: {**وَتَخْشَى النَّاسَ**} إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوّج بزوجة ابنه) .)[1].

شائعة الإفك

أما المحاولة الثانية التي أقدم عليها الطابور الخامس فتمثلت في تلك الإشاعة الخبيثة التي بثها هؤلاء، أثناء رجوع المسلمين من غزوة بني المصطلق، وهي ما عُرفت بـ(حديث الإفك).. وكانت أخطر من المحاولة الأولى، وورد ذكرها في القرآن الكريم: {**إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ الـلـه هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ الـلـه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنا**

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 14: 190 ـ 191.

وَهُوَ عِندَ اللـه عَظِيمٌ...} [1].

فهذه الآيات وما يتلوها تشير إلى حديث الإفك، وقد قيل: إنها نزلت في عائشة، وقيل في ماريّة القبطية أم إبراهيم[2]، ولسنا هنا بصدد الوقوف أمام هذه النقطة، بقدر مانروم تناول الحدث، من زاوية البحث الذي نحن في سياقه.

والمستفاد من الآيات أنّهم رموا بعض أهل النبي صلى اللـه عليه و سلم بالفحشاء، وكان الرامون عصبة من القوم، فشاع الحديث بين الناس يتلقاه هذا من ذاك، وكان بعض المنافقين أو الذين في قلوبهم مرض يساعدون على إذاعة الحديث، حبّا منهم أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فأنزل اللـه الآيات، ودافع عن نبيّه صلى اللـه عليه و سلم [3].

إنها قضية الإفك الذي تروج به شائعات ليس لها من دليل، غير أنها شائعات تتداولها الألسنة، على غير علم، ولا هدى، ولا برهان مبين.

ولكي تكون معالجة هذا الإفك، وتبيين خطره، والكشف عن أبعاده المدمرة في المجتمع معالجة فعّالة سبق في علم اللـه أن تمتحن به أسرة، هي في قمّة أسر الدنيا نقاء.[4] تلك هي أسرة الرسول صلى اللـه عليه و سلم .

والإفك: هو أشد الكذب، والعصبة: الجماعة. والمراد بقوله تعالى: {**عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**} أي جماعة منكم، ومنه قوله تعالى: {**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**}[5].

ويقال: تعصّب القوم، إذا اجتمعوا على هيئة[6].

ويذكر أيضا أن العصبة جماعة متعصبة متعاضدة، وقيل: إنها عشرة إلى أربعين..

---

(1) النور: 11 ـ 15.

(2) للمزيد يُراجع تفسير الميزان 15: 89 ـ 107.

(3) الميزان 15: 86.

(4) رمضان لاوند، من قضايا الإعلام في القرآن: 208.

(5) يوسف: 8.

(6) في ظلال القرآن 4: 1، 25.

ومحصل الآيات أنه كان هناك جماعة مرتبط بعضهم ببعض يذيعون الحديث، ليفضحوا النبي صلى اللـه عليه و سلم ، وكان الناس يتداولونه لسانا حتى شاع بينهم[1].

وقد أُشير إلى بعض أفراد هذه العصبة وأقطابها ممّن روّجوا لشائعة الإفك وأفاضوا فيها. قال ابن عباس: منهم (عبد اللـه بن أبي بن سلول)، وهو {**الذي تولّى كِبْرَهُ**}، وهو من رؤساء المنافقين و(مسطح بن أثاثة)، و(حسّان بن ثابت)، و(حمنة بن جحش) وهو قول عائشة. وحسب الرواية التي تقول: إن المقذوفة هي عائشة فإن سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت تباعدت لقضاء الحاجة، فرجعت تطلبه، وحُمل هودجها على بعير ظنّا منهم بها أنّها فيه، فلما صارت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه، وكان صفوان بن معطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فمرّ بها، فلما عرفها أناخ بعيره حتى ركبته، وهو يسوقه حتى أتى الجيش بعدما نزلوا في قائم الظهيرة. هكذا رواه الزهري عن عائشة[2] فقال أهل الإفك ما قالوا واخترعوه من الأكاذيب.

وكان الذي تولى كبره، وقاد حملته، واضطلع منه بالنصيب الأوفى هو عبد اللـه بن أبي بن سلول راس النفاق، وحامل لواء الكيد. ولقد عرف كيف يختار مقتلا، لولا أن اللـه كان من ورائه محيطا، وكان لدينه حافظا، ولرسوله عاصما، وللجماعة المسلمة راعيا..

ولقد روي أنه لما مرّ صفوان بن المعطل بهودج عائشة وابن سلول في ملأ من قومه، قال: من هذه؟

فقالوا: عائشة..

فقال: و اللـه ما نجت منه ولا نجا منها.

وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت،ثم جاء يقودها!

(1) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي 15: 89، 105.

(2) التبيان 7: 415.

وهي قولة خبيثة راح يذيعها - عن طريق عصبة النفاق - بوسائل ملتوية بلغ من خبثها أن تموج المدينة بالفرية التي لا تصدق، والتي تكذبها القرائن كلها، وأن تلوكها ألسنة المسلمين غير متحرجين، وأن تصبح موضوع أحاديثهم شهرا كاملا[1].

وهكذا أخذ بعض الناس يروّجون لهذه الأكذوبة ويرددونها في المجالس، بعضهم فعل ذلك دون أن يدرك خطر ما يفعل، وبعضهم فعله لأنه من المنافقين.

وكانت أزمة حادة عنيفة زلزلت أخلاق الناس، وشاع بهم همّ عظيم[2]، بل لقد كانت معركة خاضها رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك. وخاضها الإسلام.. معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم .. وخرج منها منتصرا كاظما لآلامه الكبار، محتفظا بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره. فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره وضعف احتماله[3].

وواضح أن مروّج شائعة الإفك هذه، والتي هزّت كيان المجتمع الإسلامي حينئذ هزّا عنيفا، قد اختلق موضوعها وأقامه على أساس جانب ضئيل جدا من الحقيقة، وهو رؤية الناس لابن المعطل يقود بعيره وعليه عائشة، ثم عالج هذا القدر الضئيل جدا من الحقيقة بالمبالغة، وجسّمه بطريقة انفعالية، ومزجه بجوانب من شطحاته الخيالية، وصاغه صياغة خبيثة يسهل على الذين يوجه إليهم الشائعة استيعابها وترديدها. وبعد ذلك صبّ ما لديه في القنوات المناسبة من أعوانه الذين يطمئن إليهم، لتصل الشائعة إلى أسماع الناس عن طريقهم بالصيغة التي يستهدف من ورائها إحداث الأثر المطلوب.

ومعروف أن الشائعة تبدأ أول ما تبدأ في إطار هذه العلاقات حيث يكون التفاعل على أشدّه، ثم تنتقل إلى المجتمع ككل.

---

(1) في ظلال القرآن 4: 2501.

(2) من قضايا الإعلام في القرآن: 208.

(3) في ظلال القرآن، مصدر سابق.

وقد سرت هذه الشائعة بالفعل بشدة بين المسلمين، ولعبت دورا رئيسيا في إثارة عواطفهم، وتركت آثارا عميقة في نفوسهم كادت تحطم معنوياتهم وتفقدهم الثقة بقائدهم وبأنفسهم. ومما ساعد على شدّة سريانها أنها قد توفر لها الشرطان الأساسيان لشدّة سريان أي شائعة، وهما: أهمية موضوع الشائعة وهو هنا يتعلق بكرامة الرسول الأكرم صلى اللـه عليه و سلم .. ثم شدّة الغموض الذي غلّفها وأحاط بها.. ولما كان القانون الأساسي للشائعة هو حاصل ضرب الأهمّية في الغموض وليس حاصل جمعهما كما سبق إيضاحه في المبحث الأول - وواضح في هذه الشائعة أن الأهمية كبيرة جدا والغموض شديد - فلذلك كانت الشائعة ضخمة جدا.

كذلك فإن الشائعة حين تروج تجرف معها الجمهور، وكلما ترددت بين الناس اشتد صداها، وأحدثت تغييرا في اتجاه تفكيرهم.. وهذه الشائعة ظلت طوال شهر كامل تسري بين الناس، وتلوكها الألسنة، وتتناقلها الأفواه دون شاهد أو دليل يؤكد صحتها.

ونتيجة لذلك فقد اشتد صداها، وغيّرت تفكير بعض المسلمين، ومنهم كما سبق ذكره حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وهم من المسلمين الذين انجرفوا في تيار هذه الشائعة وردّدوها علانية، وما كان لهم أن يفعلوا ذلك[1].

السمّاعون لهم

في موضعٍ آخر تحدث القرآن واصفا دور هذا الطابور المخرّب المروّج للأراجيف والإشاعات والمثبط للمسلمين في حربهم ومواجهتهم لعدو الإسلام. ورغم الصفعات التي لقيها هؤلاء بيد أنهم لم يثوبوا إلى رشدهم، وها هم يعاودون الكرّة يمارسون بث الفتنة والتفرقة والتخذيل:

{**لَوْ خَرجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالا ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ و اللـه عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ**

---

(1) بحوث في الإعلام الإسلامي: 45.

الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللـه وَهُمْ كَارِهُونَ}[1].

عن الآية الأولى يقول الشيخ الطبرسي: (معناه: لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الجهاد ما زادوكم بخروجهم إلاّ شرا وفسادا. وقيل: غدرا ومكرا، عن الضحّاك، وقيل: يريد عجزا وجبنا، عن ابن عباس، أي أنهم كانوا يجبنونكم عن لقاء العدو بتهويل الأمر عليكم {**ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ**} والإيضاع لغة هو الإسراع في السير، أي لأسرعوا في الدخول بينكم بالتخريب والإفساد والنميمة، يريد: ولسعوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين، ويكون تقديره: ولأعدوا الإبل وسطكم، وقيل: معناه لأوضعوا إبلهم خلالكم، يتخلل الراكب الرجلين، حتى يدخل بينهما، فيقول ما لا ينبغي.

{**يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ**} بعدو الإبل وسطكم، ومعنى يبغونكم: يبغون لكم أو فيكم، أي يطلبون المحنة باختلاف الكلمة أو الفرقة، وقيل: معناه يبغونكم أن تكونوا مشركين. والفتنة: الشرك، عن الحسن، وقيل معناه: يخوفونكم بالعدو، ويخبرونكم أنكم منهزمون، وأن عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك.

{**وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**} أي وفيكم عيون للمنافقين ينقلون إليهم ما يسمعون منكم، عن مجاهد، وابن زيد، وقيل: معناه وفيكم قائلون منهم عند سماع قولهم، يريد ضَعَفة المسلمين عن قتادة وابن إسحاق وجماعة.

{**و اللـه عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**} أي بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا أنفسهم لما أضمروا عليه من الفساد، منهم عبد اللـه بن أبي، وجد بن قيس، وأوس بن قبطي. ثم أقسم اللـه سبحانه، فقال: {**لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ**}، الفتنة اسم يقع على كل سوء وشر، والمعنى، لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كلمتكم، وتشتيت أهوائكم، وافتراق آرائكم من قبل غزوة تبوك، أي في يوم أحد حين انصرف عبد اللـه بن أبي بأصحابه، وخذل النبي صلى اللـه عليه و سلم فصرف اللـه سبحانه عن المسلمين فتنتهم.

---

(1) التوبة: 47 ـ 48.

وقيل: أراد بالفتنة صرف الناس عن الإيمان وإلقاء الشبهة إلى ضعفاء المسلمين، عن الحسن. وقيل: أراد بالفتنة الفتك بالنبي صلى اللـه عليه و سلم في غزوة تبوك ليلة العقبة، وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين.

{**وقلبوا لك الأمور**} أي احتالوا في توهين أمرك، وإيقاع الاختلاف بين المؤمنين، وفي قتلك بكل ما أمكنهم فيه، فلم يقدروا عليه. وقيل: إنهم يريدون في كيده وجها من التدبير، فإذا لم يتم ذلك فيه تركوه، وطلبوا المكيدة في غيره، فهذا تقليب الأمور عن أبي مسلم.

{**حتى جاء الحق**}، معناه: حتى جاء النصر والظفر، الذي وعده اللـه به: {**وَظَهَرَ أَمْرُ اللـهِ**} أي دينه، وهو الإسلام على الكفار على رغمهم {**وهم كارهون**}، أي في حال كراهيتهم لذلك، فهي جملة في موضع الحال[1].

إن ما ذكره القرآن الكريم من صفات أهل النفاق والشقاق ينطبق بالكامل على ما يسمى الآن بالحرب الباردة، أو الحرب النفسية التي تثيرها وتتولاها قوى الشر والخيانة، من نشر الشائعات المغرضة، وتجريح المخلصين، وإثارة الفتن والقلاقل والاستفزازات، ووصم الوجودات المخلصة بالتهديم والتخريب، وعملية الاغتيالات، وتدبير المؤامرات والانقلابات. كل ذلك وما إليه يقوم به المنافقون في عصرنا بطريقة محكمة ومنظمة، بل علمية يستخدمون أساليب ترتكز على علم النفس والاجتماع، ويدخلون إلى كل قلب من نافذته وعاطفته، أو كما قال الإمام علي عليه السلام : (أعدّوا لكل باب مفتاحا، ولكل ليل مصباحا)[2].

لقد فضحت الأحداث التي عصفت بالمنطقة مؤخرا العديد من الواجهات والتيارات، وأبرزتها على حقيقتها، فبان زيفها، بعد أن تساقطت كل المساحيق التي توارت وراءها.

---

(1) مجمع البيان 5: 35.

(2) محمد جواد مغنية، التفسير المبين: 249.

كيف تعامل القرآن مع الحرب الدعائية ؟

استعرضنا فيما تقدّم من هذا البحث، نماذج منتقاة من صور التثبيط والإرجاف والتخذيل، ورأينا كيف استطاع المشركون واليهود والمنافقون، وكل من له مصلحة في مقاومة تيار الإسلام، أن ينظّموا حربا للشائعات، تنشر موجاتها متلاحقة تستهدف تحطيم وحدة الصف المسلم، وزعزعة ثقة المسلمين بعقيدتهم من جانب، وبقيادتهم ممثلة في شخص رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، من جانب آخر، وذلك عن طريق التشكيك في كل شيء، واختلاق الأكاذيب والافتراءات، وترويجها بين الصف المسلم[1].

وواضح أن اليهود قد لعبوا دورا خطيرا في هذه الحرب النفسية، التي لم تضع أوزارها قط حتى اليوم.. وكان لكل طائفة منهم شأن مع الرسول.

ونظرة سريعة، على الخط البياني لمحاولات اليهود، على هذا الصعيد، تقودنا إلى هذه النتيجة، وهي أنها (أي الحرب) قد بدأت في أول الأمر حربا باردة، بتعبير أيامنا هذه. بدأت حرب دعاية ضد الرسول صلى الـلـه عليه و سلم ، وضد الإسلام. واتخذوا في الحرب أساليب شتى ممّا عُرف به اليهود في تاريخهم كله. اتخذوا خطة التشكيك في رسالة محمد صلى الـلـه عليه و سلم ، وإلقاء الشبهات حول العقيدة الجديدة، واتخذوا طريقة الدس بين بعض المسلمين وبعض. وبين الأوس والخزرج مرّة، وبين الأنصار والمهاجرين مرّة، واتخذوا طريقة التجسس على المسلمين لحساب أعدائهم من المشركين. واتخذوا طريقة اتخاذ بطانة من المنافقين الذين يظهرون الإسلام، يوقعون بواسطتهم الفتنة في صفوف المسملين..

وأخيرا أسفروا عن وجوههم واتخذوا طريق التأليب على المسلمين، كالذي حدث في غزوة الأحزاب[2]..

حقائق أساسية

وإذا ما تأملنا الآيات الكريمة التي تحدثت عن الخبر والإشاعة والأراجيف والتضليل والحرب الدعائية المضادة التي تستهدف إرباك الرأي العام، وتضليل الإنسان،

---

(1) د. محمد فريد عزت، بحوث في الإعلام الإسلامي: 60، (جدّة، 1403هـ ـ 1983م).

(2) سيد قطب؛ في ظلال القرآن 5: 2846 (ط دار الشروق، العاشرة، 1402هـ ـ 1982م).

وهدم التماسك السياسي والفكري والاجتماعي والنفسي للمجتمع، نستطيع أن نستنتج عدّة حقائق أساسية في هذا الشأن.

وإذن فلنعد قراءة الآيات والوقوف أمامها مرة أخرى[1]:

{وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ}[2].

{قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}[3].

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ الـلـه شَيْئًا وَسَيَجْزِي الـلـه الشَّاكِرِينَ}[4].

{وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْر مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ الـلـه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا}[5].

{إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَار وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا الـلـه وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارا}[6].

{قَدْ يَعْلَمُ الـلـه الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا * أَشِحَّة عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّة عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ الـلـه أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الـلـه يَسِيرا * يَحْسَبُونَ

---

(1) مؤسسة البلاغ؛ مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 37 .

(2) القلم: 51.

(3) الأنبياء: 5.

(4) آل عمران: 144.

(5) النساء: 83.

(6) الأحزاب: 10 ـ 13.

الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلا}[1].

{**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانا وَإِثْما مُّبِينا**}[2].

(لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا * سُنَّةَ اللـه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـه تَبْدِيلا}[3].

{**إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}[4].

{**لَوْ خَرجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالا ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ و اللـه عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللـه وَهُمْ كَارِهُونَ**}[5].

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْما بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**}[6].

إن قراءة هذه الآيات والتفحّص فيها يوصلنا إلى عدّة قضايا أساسية هي:

أولا: إنّ هذه الشائعات، ورغم نجاحها الوقتي في بلبلة الأفكار، أثبتت إخفاقها الذريع في مواجهة رسالة السماء، فضلا عن أنها كانت تمنيات تراود أعداء الإسلام، والتمنيات رأس مال المفلسين:

---

(1) **الأحزاب: 18 ـ 20.**

(2) **الأحزاب: 58.**

(3) **الأحزاب: 60 ـ 62.**

(4) **النور: 11.**

(5) **التوبة: 47 ـ 48.**

(6) **الحجرات: 6.**

{فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرونَ * وَمَا لا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}[1].

ثانيا: كان أعداء الإسلام يتخيرون أحرج المواقف، لنشر شائعات مسمومة، يهدفون منها الى تحطيم قوة المسلمين المعنوية وتثبيط هممهم،وذلك أثناء القتال أو الاستعداد له..

ومن ذلك تلك الشائعة الخطيرة التي نُشرت بين المسلمين - من جانب أعدائهم أثناء القتال في غزوة أحد - من أن محمدا قد قُتل.

وكان لهذه الشائعة أثر كبير في الهزيمة، التي لحقت بالمسلمين في تلك الغزوة.. وكذلك ما أشاعه المنافقون لتوهين المسلمين وتخذيلهم، في غزوة الأحزاب، عندما عظم البلاء، وجاءهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر..

ومن ذلك أيضا ما أشاعه المنافقون بين المسلمين، وهم يتهيأون لقتال الروم في تبوك، من تثبيط معنوي، أدّى إلى تخلّف عدد من المسلمين عن السفر، مع رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم في تلك الغزوة[2].

ثالثا: إن الإشاعات والأكاذيب التي تستهدف سمعة المؤمنين، والنيل من كرامتهم، وإسقاط شخصياتهم هي بهتان وإثم، وهي من كبائر الذنوب، وأسوأ الأخلاق، وأحط الأساليب.

وقد كشفت لنا الآية (58) من سورة الأحزاب، دور أولئك الذين يعملون في الظلام، لصناعة الافتراء والتهم والأباطيل، وإلصاقها بالمؤمنين، ليضعف موقعهم الاجتماعي والسياسي ودورهم الرسالي، وإخراجهم من ساحة التأثير والفاعلية الاجتماعية.

---

(1) الحاقة: 38 ـ 43.

(2) بحوث في الإعلام الإسلامي: 50.

وقد برعت، في العصر الحديث، أجهزة التجسس والاستخبارات والحرب الدعائية، في تصميم الإشاعات والتسقيط، وافتعال ما يسيء للسمعة، وجنّدت لذلك جهودا دعائية وخبرات وعناصر كثيرة، صوّرت فيها المخلصين عملاء ومشبوهين ومخرّبين، والعملاء والمخربين والجواسيس أبطالا وشخصيات طلائعية، بل وتلاعبت بالألفاظ والمصطلحات، فسمّت الخمور مشروبات روحيّة، والباغيات الراقصات نجوم الفن، ودعاة الخير رجعيين و... إلخ.

رابعا: سمّى القرآن أولئك الذين يصممون الإشاعات والدعايات، التي تحاول إضعاف موقف الأمة السياسي، أوالعسكري، أو الاقتصادي، أو الحضاري، ويقومون بنشر الإشاعات والأباطيل والأراجيف الكاذبة، بمرضى القلوب، نظرا لما في قلوبهم من غش وخديعة، ورغبة في الهدم والتخريب، وتغيير للحقائق وقلب لها.

خامسا: إن الغرض من هذا العمل الدعائي المخرّب هو اختراق الصفوف، ونشر الفتنة، عن طريق زرع العملاء والجواسيس، وبث الإشاعات والأراجيف، والتأثير على ضعاف النفوس، وإرباك الموقف الإسلامي، وإضعاف مقاومة الأمة والجماعة المؤمنة.

سادسا: وفي آية النبأ، يثبّت لنا القرآن القاعدة الأساسية، في قبول الخبر والرواية والإشاعة، فينهانا عن تصديق الإشاعات والأخبار، وتحريم نشرها، إلاّ بعد التأكّد من صحّة مصدرها وصدق حدوثها، بل يلزمنا بالبحث والتحرّي، والتأكّد من التهم والإشاعات.

سابعا: إن عاقبة الانسياق وراء الأخبار الكاذبة والأراجيف والإشاعات المغرضة هو الندم، وإن الانسياق وراءها يعبّر عن حالة من السفه، وخفّة العقل، والهلع الذميم، وهي ليست من صفات الإنسان المسلم الملتزم، والعاقل الواعي الذي يملك الوضوح والتمييز[1].

---

(1) اعتمدنا بشكل أساسي، في أغلب هذه النقاط على كراس: مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 3ـ 41، المرجع السابق.

موقف القرآن من الإشاعات

نتعرض يوميا لسيل من الإشاعات الهدامة التي تثير الخوف والرعب والشك والبلبلة والقلق والكراهية والحقد واليأس في نفوسنا. لذا يجب أن نتعلّم كيف نضع حدّا لانتشار مثل هذه الإشاعات، والسيطرة عليها في مهدها، ومقاومتها بشتى السبل، (فالوقاية خير من العلاج)[1].

ورغم أهميّة الدراسات الحديثة والمعاصرة المهمّة بهذا الشأن، وما توصّلت إليه من نتائج وتوجيهات على غاية من الجدّية والعمق، فإن النص القرآني يظل متميّزا بالأصالة والسبق والفرادة والغوص في عمق الظاهرة، الى الحد الذي يمكن القول فيه بعجز كل المدارس التحليلية المعنية عمّا قرره هذا الكلام الموحى من تشخيص دقيق وموقف مطلوب.

ولو تسنّى لنا أن نواكب موقف القرآن، من مثيري الأراجيف والإشاعات، ومن منطلق تأريخي، لوجدنا أن القرآن الكريم اهتم اهتماما بالغا بالمواجهة الإعلامية، للتعريف بالمواقف، وإيصال المعلومات الصادقة، وتحصين الرأي العام، وحمايته من التخريب والحرب النفسية، وتوجيهه الوجهة السليمة[2].

وبهذا الخصوص لم ينزل القرآن الكريم بالتوجيهات للمسلمين جملة واحدة، وإنما ربّاهم اللـه بالتجارب والابتلاءات والامتحانات، فقد علم اللـه أن هذه الخليقة البشرية لا تُصاغ إلاّ بذاك النوع من التربية التجريبية الواقعية، التي تحفر في القلوب، وتنقش في الأعصاب، وتأخذ من النفوس، وتعطي في معترك الحياة ومصطرع الأحداث. فالقرآن ينزل متدرجا ليكشف لهذه النفوس عن حقيقة ما يقع ودلالته، ويوجه تلك القلوب وهي منصهرة بنار الفتنة، ساخنة بحرارة الابتلاء، قابلة للطرق، مطاوعة للصياغة[3].

---

(1) دورية قراءات سياسية: 120، مرجع سابق.

(2) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 46.

(3) في ظلال القرآن 5: 2832.

كل ذلك تم وفق المنهج الرباني، في عملية التغيير الاجتماعي، التي تتبع سنّة التدرّج التكاملي. وعندما نستقرئ آيات القرآن التي تحدثت عن المواجهة الإعلامية، وأسلوب التعامل مع الدعاية المضادة، نجد القرآن قد ركّز على أساليب اساسية عديدة، منطلقا من أسس نفسيّة وموضوعية بالغة الأهمية، لتكوين الدوافع وكسب الاستجابة والمواقف، وأهم هذه الأسس هي[1]:

أولا: اليقظة والحذر والتبيّن

إن هذه المفردات الثلاثة (اليقظة والتبيّن والحذر) بكل ما تعنيه من توثّب، وأخذ حيطة، وترقب، وتصرّف بحكمة، والعمل بمقتضى ما يتلاءم مع كل حالة، هي من أهم أساليب مواجهة الحرب النفسية، ومتى ما توفرت، في الوسط الاجتماعي، تكون نتيجة ما يبثه الآخرون، من إشاعات وأراجيف هي الفشل المحتوم، وفي حالة افتقار الوسط الاجتماعي لهذه المفردات فسيكون ساحة مفتوحة للعدو، يعبث بها ما يشاء، عبر أساليبه النفسية المتنوعة.

وباختصار شديد: إن المطلوب من الأمة المسلمة أن تتسم باليقظة، والتبيّن،والحذر، وهذا هو ما يعبر عنه بمصطلح اليوم بـ(الوعي)، وعليه يمكن وصف هذه الأمّة أو تلك الجماعة بالأمة أو الجماعة الواعية، وبعكسه نصفها بالأمة غير الواعية.

وقد حاول الخطاب القرآني، ومنذ وقت مبكر، بث الوعي الرسالي، في صفوف الجماعة المؤمنة، والتي بدورها مارسته في جموع الامة، وبذا ارتقت هذه الأمة الشاهدة مكانها المرموق:

{**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا**}[2].

---

(1) السيد محمد حسين فضل اللـه؛ من وحي القرآن 1: 65.

(2) البقرة: 143.

وتمثل بث الوعي بما يلي:

أ. التبيّن :

في إطار التوعية والتوجيه، وتثبيت أسس التعامل مع الخبر والإشاعة، أرسى القرآن الحكيم قاعدة أساسية في هذا الشأن بقوله: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْما بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**}[1].

والخطاب القرآني، هنا، في غاية الصراحة والصرامة - في آن معا - مؤكدا ضرورة التثبّت أو التبين من مصدر الإشاعة، وأول خطوة في مقاومة الإشاعة وأهم نقطة هي معرفة مصدر الإشاعة بدقة، حتى نتمكّن من تفنيدها عن علم وقوّة[2].

فبعد حادثة تاريخية استهدفت تزوير الحقيقة وتزييفها، نزلت هذه الآية المباركة؛ لتوضح للمسلمين ضرورة التثبّت، وعدم التسرّع في استقبال الخبر والرواية وتصديقهما، والاعتماد عليهما، وتقرير الموقف بناء على من جاء بهما، إذا كان ناقل الخبر مجهولا، أو فاسقا، ومروّج الإشاعة غير مأمون، على نقل الخبر، وحمل الرواية.

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الـلـه، إلى بني المصطلق، فخرجوا يتلقونه فرحا به، وكانت بينهم عداوة في الجاهلية، فظنّ أنهم همّوا بقتله، فرجع إلى رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم وقال إنهم منعوا صدقاتهم، وكان الأمر بخلافه فغضب النبي صلى الـلـه عليه و سلم ،وهمّ أن يغزوهم فنزلت الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتادة[3].

لقد كانت هذه الآية وما زالت موضع اهتمام المفسرين، وعلماء الرواية، وأصول الفقه، لتطرقها لموضوع هام، في حياة المسلمين وهو كيفية قبول الرواية وتصديقها.

---

(1) الحجرات: 6.

(2) دورية قراءات سياسية: 120.

(3) الشيخ الطبرسي؛ مجمع البيان في تفسير القرآن 9: 132 (ط طهران، 1379هـ).

وفي هذه الآية يثبّت لنا القرآن القاعدة الأساسية في قبول الخبر والرواية والإشاعة، فينهانا عن تصديق الإشاعات والأخبار وتحريم نشرها إلاّ بعد التأكد من صحة مصدرها وصدق حدوثها، بل يلزمنا بالبحث والتحرّي والتأكّد من التهم والإشاعات[1].

وفي ضوء ذلك تضع هذه الآية الكريمة معالم كاملة لعالم رفيع نظيف، عالم له منهجه في التثبّت من الأقوال والأفعال والاستيثاق من مصدرها، قبل الحكم عليها، أو نشرها أو إذاعتها. فهذا نداء للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء؟ وكيف يتصرفون بها؟ ويقرر ضرورة التثبّت من مصدره[2].

وأيا كان سبب النزول، فإن الآية عامة مطلقة، وتحذّر المسلمين من الأنباء الكاذبة التي يُرجف بها المرجفون، ليشيعوا في المسلمين قالة السوء، وليوغروا بها صدورهم على أهل الإيمان والسلامة فيهم، وإن هذا من شأنه - لو وقع موقع القبول والتسليم من المؤمنين من غير تبصّر أو تمحيص - أن أفسد عليهم أمرهم، وينزع الثقة والطمأنينة من بينهم[3]؛ ولهذا شدّد الخطاب القرآني على أن عاقبة الانسياق وراء الأخبار الكاذبة والأراجيف والإشاعات المغرضة هي الندم، وأن الانسياق وراءها يعبّر عن حالة من السفه وخفّة العقل والهلع الذميم، وهي ليست من صفات الإنسان المسلم الملتزم، والعاقل والواعي الذي يملك الوضوح والتمييز كما ذكرنا آنفا..[4].

ومن المعالم التي لفت إليها القرآن الكريم في باب (التبيّن) هو تجنّب ترديد الإشاعات ونشرها بين الناس.

لقد حذّر الإسلام من خطر الإشاعة وترويجها، فقال تعالى: {**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنا وَهُوَ عِندَ الـلـه عَظِيمٌ**

---

(1) مرتكزات أساسية: 32، 40.

(2) في ظلال القرآن 6: 3336، 3340 (ط دار الشروق).

(3) عبد الكريم الخطيب؛ التفسير القرآني للقرآن 26: 440 (ط مصر، 1970).

(4) مرتكزات أساسية: 41.

* **وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**
* **يَعِظُكُمُ اللـه أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**}[1].

فيجب التروّي والتدبر وتفحّص الإشاعة؛ لأنها وباء خطير قد يجلب الدمار للفرد والأسرة والمجتمع، فالأولى أن نُعلم أولي الأمر أو القيادة بالإشاعة لأنهم أقدر على فهمها والرد عليها[2] فور سماعها، وبذلك نقضي على الشائعات في مهدها، وتقف مباشرة عند الشخص الذي يبلغ المسؤولين عنها لا تتعداه، حيث يأتيه التوضيح السليم من المسؤولين الذين أبلغهم بالشائعات[3].

ومن ذلك قوله تعالى: {**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْر مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**}[4].

ب . عدم إفشاء أسرار المؤمنين:

اهتم القرآن الكريم بالمحافظة على أسرار المؤمنين وعدم إفشائها للعدو، فقال اللـه عز وجل: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللـه وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**}[5].

مما روي في سبب نزول هذه الآية الكريمة، أنها نزلت في أبي لُبابة بن عبد المنذر، وذلك أن النبي صلى اللـه عليه و سلم لما حاصر قريظة سألوه أن يصالحهم على ما صالح عليه بني النضير، على أن يسيروا إلى أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلاّ أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا، ثم إنهم بعثوا إلى رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة (وكان أهله وولده فيهم)، لنستشيره في أمرنا، فأرسله رسول اللـه' إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ لهم، وقالوا له: يا أبا لُبابة، أترى أن

---

(1) **النور: 15 ـ 17.**

(2) **دورية قراءات سياسية: 120.**

(3) **بحوث في الإعلام الإسلامي: 63.**

(4) **النساء: 83.**

(5) **الأنفال: 27.**

ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه[1]، أي إنه الذبح فلا تفعلوا، فكان ذلك منه خيانة لله ورسوله.

وقيل: إن البعض كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الـلـه عليه و سلم ، فيشقونه ويلقونه إلى المشركين، فنهاهم الـلـه عن ذلك[2].

ويمضي الخطاب في ملاحقة الموقف، مشخصا بعض حالات الضعف البشري، إزاء الأموال والأولاد مؤكدا أنها فتنة:

{**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ**}[3].

وقد قال ابن عباس: هذا خطاب لأبي لبابة؛ لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة.

فأمّا الفتنة فالمراد بها الابتلاء والامتحان الذي يُظهر ما في النفس، من اتباع الهوى أو تجنّبه {**وَأَنَّ الـلـه عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**} خير من الأموال والأولاد[4].

ومرة أخرى يعاود الخطاب القرآني التحذير من مغبّة إفشاء الأسرار إلى العدو، وذلك تحت ضغوط نفسية تتعلق بالأولاد والأرحام. وينبري هنا حاطب بن أبي بلتعة نموذجا لمن يشي باسرار الجماعة المسلمة إلى مشركي قريش، في حادثة تاريخية معروفة فنزلت الآيات المباركات:

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَروا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِالله رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن**

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 3 :247 (طبعة بيروت 1985).

(2) تفسير الرازي 15: 151.

(3) الأنفال: 28.

(4) الرسول والحرب النفسية: 282.

تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ و اللـه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[1].

والقصة باختصار أن الرسول الأكرم صلى اللـه عليه و سلم حين عزم على أن يدخل مكة بغتة، سأل اللـه أن يعمي أخبارهم على قريش، ومنع أحدا أن يخرج من المدينة إلى مكة، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يعلمهم بذلك، فأوحى اللـه تعالى إلى النبي صلى اللـه عليه و سلم بذلك، وأنزل هذه الآيات يخاطب فيها المؤمنين، وينهاهم أن يتخذوا عدو اللـه من الكفار وعدو المؤمنين أولياء، يوالونهم ويلقون إليهم بالمودّة.[2].

جـ . اليقظة والحذر :

في كتاب اللـه العديد من مواطن التحذير للمسلمين مما يحيط بهم من مكائد ومخططات. وقد لفت الخطاب القرآني الانتباه إلى تلك المخاطر في الوقت المناسب، كلّما استدعت الضرورة.

أوّل التحذيرات التي أطلقها القرآن الكريم كانت خاصة باليهود والنصارى، باعتبارهما عدوين ظاهرين:

{**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**}[3].

{**وَلَن تَرضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**}[4].

وعقب حادثة تاريخية مع اليهود الذين حكّموا الرسول صلى اللـه عليه و سلم ، في مسألة تخصهم، نزلت الآية الكريمة:

{**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللـه وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرعَة وَمِنْهَاجا وَلَوْ شَاء اللـه لَجَعَلَكُمْ أُمَّة وَاحِدَة وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللـه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم**

---

(1) الممتحنة: 1 ـ 3.

(2) للمزيد يُراجع تفسير التبيان 9: 575.

(3) المائدة: 82.

(4) البقرة: 120.

بِمَآ أَنزَلَ اللـه وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللـه إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللـه أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}[1].

والخطاب موجه إلى رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم ، فيما كان فيه من أمر أهل الكتاب الذين يجيئون إليه متحاكمين، ولكنه ليس خاصا بهذا السبب، بل هو عام الى آخر الزمان، فالتحذير هنا أشد وأدق، وهو تصوير للأمر على حقيقته. فهي فتنة يجب أن تحذر[2].

وفي موضع آخر يخاطب القرآن المسلمين محذّرا إيّاهم من مغبّة عدم الطاعة لله ولرسوله:

{**وَأَطِيعُواْ اللـه وَأَطِيعُواْ الرسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**}[3].

والطاعة هي امتثال الأمر، والانتهاء عن المنهي عنه ..

وقوله: واحذروا أمر منه تعالى بالحذر وهو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر.

والخوف هو توقع الضرر الذي لا يؤمن كونه. وقوله: {**فَإِن تَوَلَّيْتُمْ..** }إلخ معناه الوعيد والتهديد[4].

وينتقل الخطاب القرآني إلى موضع آخر، لكي يحذّر المؤمنين من عدو يقبع داخل بيوتهم، ولربما لم يلتفتوا إلى خطره:

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّا لَّكُمْ فَاحْذَروهُمْ**}[5].

---

(1) المائدة: 48 ـ 49.

(2) في ظلال القرآن 2: 902 ـ 904.

(3) المائدة: 92.

(4) تفسير التبيان 4: 19.

(5) التغابن: 14.

قال ابن عباس: نزلت الآية في قوم أسلموا بمكة، وأرادوا الهجرة فمنعوهم من ذلك.

وقال عطاء بن بشار: نزلت في قوم أرادوا البر فمنعهم هؤلاء.

وقال مجاهد: هي في قوم إذا أرادوا طاعة الـلـه منعهم أزواجهم وأولادهم، فبيّن الـلـه تعالى أنّ في هؤلاء من هو عدو لكم في الدين فاحذروهم فيه[1].

ويذهب الخطاب القرآني إلى أبعد مدياته في التحذير من العدو المستتر الذي يتغلغل في صفوف الجماعة المسلمة، وتتكفل سورة (المنافقون) بفضح هؤلاء وتعريتهم والتحذير منهم:

{**إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الـلـه و الـلـه يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ و الـلـه يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّة فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ الـلـه إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ الـلـه أَنَّى يُؤْفَكُونَ**}[2].

وهذه السورة التي تحمل هذا الاسم الخاص (المنافقون) الدال على موضوعها ليست هي السورة الوحيدة التي فيها ذكر المنافق والمنافقين، ووصف أحوالهم ومكائدهم، فلا تكاد تخلو سورة مدنية من ذكر المنافقين تلميحا أو تصريحا، ولكن هذه السورة تكاد تكون مقصورة على الحديث عن المنافقين، وهي تتضمن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين، وأكاذيبهم، ودسائسهم، ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن، وانطماس البصائر والقلوب..

وهم بهذا وذاك يمثلون العدو الأول للرسول صلى الـلـه عليه و سلم وللمسلمين:

{**هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ**}.. هم العدو الحقيقي الكامن داخل المعسكر المختبئ في الصف، وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح. (فاحذرهم).. ولكن الرسول صلى الـلـه عليه و سلم لم

(1) تفسير التبيان: 10: 24.

(2) المنافقون: 1 ـ 4.

يؤمر هنا بقتلهم، فأخذهم بخطة أخرى، فيها حكمة وسعة وثقة بالنجاة من كيدهم[1].

وكما أن الحذر مطلوب في وقت السلم، فإنه مطلوب أيضا في وقت الحرب. ولعل أهميته تصبح أكثر في الحالة الثانية. وها هو ذا كتاب اللـه يرسم للمسلمين جانبا من الخطة التنفيذية للمعركة المناسبة لموقفهم حينذاك، ولوجودهم بين العداوات الكثيرة في الخارج، والمنافقين وحلفائهم اليهود في الداخل، وهو يحذرهم ابتداء[2]:

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ**}[3].

وهذا خطاب للمؤمنين الذين صدّقوا بالله، وبرسوله. أي أيقنوا بالله ورسوله، أمرهم اللـه أن يأخذوا حذرهم. وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال أبو جعفر عليه السلام وغيره: خذوا سلاحكم، فسمي السلاح حذرا لأنه يتقى به المحذور ..

الثاني: احذروا عدوكم بأخذ السلاح، كما يقال للإنسان: خذ حذرك بمعنى احذر[4].

والمقصود لا تخرجوا للجهاد فرادى، ولكن اخرجوا مجموعات صغيرة، أو الجيش كله.. حسب طبيعة المعركة.. ذلك أن الآحاد قد يتصيدهم الأعداء المبثوثون في كل مكان. وبخاصة إذا كان هؤلاء الأعداء منبثين في قلب المعسكر الإسلامي، وهم كانوا كذلك، ممثلين في المنافقين، وفي اليهود، في قلب المدينة[5].

وفي موضع لاحق، يواصل القرآن الكريم تحذيراته للمجاهدين حتى في حالة وضعهم السلاح، طالبا منهم اليقظة والحذر:

---

(1) في ظلال القرآن 10: 3572 ـ 3575.

(2) المصدر السابق 2: 705.

(3) النساء: 71.

(4) تفسير التبيان 3: 252

(5) في ظلال القرآن: مصدر سابق.

{**وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذى مِّن مَّطَر أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ الـلـه أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابا مُّهِينا**}[1].

بمعنى: أنهم إن كانوا يتأذون من مطر ينزل عليهم، أو كان بعضهم مرضى، فلا مانع من أن يضعوا أسلحتهم، لكن يجب عليهم مع ذلك أن يأخذوا حذرهم، ولا يغفلوا عن الذين كفروا فهم مهتمون بهم[2].

وهكذا تشدّد الأوامر الإلهية على المؤمنين بأخذ الحيطة والحذر: {**خُذوا حِذْرَكُمْ**} أي كونوا متيقظين، وضعتم السلاح أم لم تضعوه. وهذا يدل على تأكيد التأهّب والحذر في كل الأحوال وترك الاستسلام، فإن الجيش ما أُصيب قط إلاّ من تفريط في حذر..[3].

ثانيا: الفضح

لعب المنافقون دورا بارزا في بث الإشاعات داخل الصف المسلم. وقد عايش الإسلام هذا النموذج، في عصره الأول، وعانى منه الكثير من الدس والتضليل واللف والدوران، مما كان يشارك في عملية إرباك الحياة الإسلامية، في حركة المجتمع الإسلامي، في الداخل والخارج.

إن قضية الكفر كقضية الإيمان تمثّل موقفا حاسما في حياة الإنسان، باعتبارها تحديدا واضحا للموقف إزاء ما يطرح من قضايا العقيدة والحياة، أما المنافقون فهم الذين يعيشون ازدواجية الموقف بين ما يضمرونه، في داخل أنفسهم، وبين ما يظهرونه أمام الناس، مما يجعل من اكتشافهم ومعرفتهم عملية معقدة؛ لأنها تحتاج إلى رصد دقيق لأقوالهم وأفعالهم، لمواجهة العوامل القلقة، التي تتحرّك في سلوكهم، لتحرّك حياتهم العامة والخاصة.

---

(1) النساء: 102.

(2) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان: 5: 62 (ط 2، بيروت، 1390هـ ـ 1970م).

(3) أبو عبد الـلـه القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 5: 373 (ط القاهرة 1387هـ ـ 1967م).

وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل القرآن الكريم يواجه هذا النموذج القلق بعدّة آيات تتوفر على ملاحقة مظاهر النفاق، في كلماتهم التي يواجهون بها الناس، وشعاراتهم التي يطرحونها، ومواقفهم العملية التي يقفونها في حياة المجتمع؛ ليسهل على الناس كشف واقعهم، من أجل التخلص من ضررهم في الحاضر والمستقبل[1].

وهكذا صدع القرآن الكريم، منذ وقت مبكر، منبريا لكشف

زيف هؤلاء: {**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللـه وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللـه مَرَضا وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ * اللـه يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**}[2].

ففي هذه الآيات الكريمة فضح لصورة هذه الفئة المتسترة، صورة النفس الملتوية المريضة المعقدة القلقة، على أن هذه الإطالة توحي، كذلك، بضخامة الدور الذي كانوا يحدثونه، كما توحي بضخامة الدور، الذي يمكن أن يقوم به المنافقون، في كل وقت، داخل الصف المسلم، ومدى الحاجة للكشف عن ألاعيبهم ودسهم اللئيم[3].

ثالثا: التفنيد والتحصين

لم يكتفِ الخطاب القرآني بأسلوب فضح الآخر، وتحديد سماته، وإنما ينتقل إلى خطوة مهمة أخرى، وهي تفنيد الأساليب الدعائية وتعريتها، وفق ما يسمى اليوم بلغة العصر (الإعلام والإعلام المضاد).

---

(1) من وحي القرآن 1: 66 ـ 67.

(2) البقرة: 8 ـ 15.

(3) في ظلال القرآن 1: 45.

ومن هنا ركّز القرآن، على كشف الزيف،وتعرية الإشاعة والدعاية المضادة، وبيان الكذب والتناقض فيها، لإسقاط فاعليتها، وتوجيه رد الفعل ضد مروّجيها[1] وهذا مما يساعد على مقاومة الإشاعة، ووأدها في مهدها، ولا ننسَ أن التوعية أمر أساسي، في مقاومة الإشاعة وتفنيدها بالاستناد إلى الحجج والبراهين المنطقية، والحقائق الواقعة التي تحصّن الناس، ضد سموم الشائعات، التي يروّجها الأعداء والمرجفون، وإشاعة الثقة في الناس وتنمية الوعي العام.

ودليلنا في ذلك أن رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم ، قد لجأ إلى هذا الأسلوب مرارا عديدة، عندما كان أعداء الإسلام يثيرون الفتن، وينشرون الشائعات، ومنها على سبيل المثال:

عندما مر شاس بن قيس اليهودي على قوم من الأوس والخزرج، وغاظه ما رأى من صلاح ذات بينهم على الإسلام، فأمر فتى يهوديا مثله أن يجلس معهم ويذكّرهم بيوم بعاث[2] الذي اقتتل فيه الأوس والخزرج، قبل الإسلام، وما زال الفتى بهم حتى تثاوروا للحرب، وكاد يقع بينهم الصدام، فلما بلغ رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم جاءهم وخطب فيهم قائلا:

(يا معشر المسلمين! اللـه اللـه! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم اللـه للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألّف بين قلوبكم)..

ومن هذه الكلمة البليغة عرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، وانصرفوا مع رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم ، سامعين مطيعين، وقد أطفأ اللـه عنهم كيد عدوهم[3].

---

(1) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 46.

(2) وهو يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج، أيام الجاهلية، وكان النصر فيه حليف الأوس.

(3) للمزيد يراجع كتاب: السيرة النبوية لابن هشام 2: 556 (ط بيروت 1985)، وكتاب بحوث في الإعلام الإسلامي: 66.

وفي هذه الحادثة نزل قوله تعالى: {**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الـلـه مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا الـلـه بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ الـلـه وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِالله فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**}[1].

والخطاب القرآني صريح في تنديده بأهل الكتاب، كصراحته في تحذير المؤمنين من مغبّة الاستسلام الساذج لأساليب الأعداء.. وتلك هي الخسارة الكبرى التي ينبغي أن يتفاداها المسلمون بالمزيد من الوعي والتفكير، فيما يحيط بهم من أجواء الكفر والكافرين، وفيما يسمعونه من آيات الـلـه التي تفتح قلوبهم على الحق، وعيونهم على الواقع، ومسيرتهم على الصراط المستقيم، فإذا اشتبه عليهم شيء، من شؤون الفكر والعمل، فإن رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم يعيش بينهم[2].

والمتتبع لآيات القرآن يجد، في أكثر من موقع، هذه العملية المزدوجة: تفنيد وتعرية إشاعات أعداء الإسلام، وتحصين المسلمين من سمومهم، بتعزيز الثقة في نفوسهم، وتنمية الوعي بين صفوفهم.

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ * بَلِ الـلـه مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**}[3].

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَة مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**}[4].

---

(1) آل عمران: 99 ـ 101.

(2) من وحي القرآن 6: 113.

(3) آل عمران: 149 ـ 150.

(4) آل عمران: 118.

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ و الـلـه يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [1].

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ الـلـه إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ الـلـه وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}[2].

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ الـلـه أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ و الـلـه يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}[3].

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}[4].

وهكذا يدعو القرآن إلى استخدام الإعلام القائم، على أساس محاكمة الخصم، وتحديه،وكشف تناقضه، وتآمره، وكذبه، وتضليله، ممّا يعرّيه أمام الرأي العام، ويشكّل الحواجز بينه وبين المساحة البشرية التي يسعى للتأثير فيها، فيفقد ثقتها وتجاوبها معه[5]، ومن ثم تأتي عملية البناء الإيجابي بعد الانتهاء من عملية الهدم، وبذا تتم المزاوجة الرائعة بين العمليتين، في وقت واحد، وهذا من الأساليب القرآنية الفذّة، في العملية التربوية: الهدم والبناء، وبعبارة أخرى: تفنيد حجة الخصم وتسفيهها، ومن ثم تعزيز الثقة بالمنهج الرباني، والحث على الالتصاق به.

رابعا: التسقيط

وحينما لا تجدي أساليب المحاججة المنطقية مع مرضى القلوب، ينتقل الخطاب القرآني إلى خطوة أخرى، فيستخدم أسلوبا إعلاميا آخر ذا فاعلية نفسيّة، لهز

---

(1) آل عمران: 65 ـ 66.

(2) هود: 13 ـ 14.

(3) محمد: 29 ـ 30.

(4) آل عمران: 71.

(5) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 48.

الخصم من داخله، وإشعاره بتفاهة شخصيته ومواقفه، ليكوّن الهزيمة في أعماقه النفسية، ويسلب منه الروح المعنوية والقدرة على المواجهة، بتوجيه الخطاب إليه، كطرف هزيل، يوضع موضع الاستهزاء والسخرية. نلاحظ ذلك واضحا في خطابه للمكذبين، ولأعداء الدعوة عندما يقول لهم[1]:

{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ ربِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما}[2].

{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ الـلـه بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ}[3].

{وَلَقَدْ ذَرأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}[4].

{وَلَوْ أَرادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّة وَلَكِن كَرِهَ الـلـه انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالا ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ و الـلـه عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ الـلـه وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ * قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ الـلـه لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى الـلـه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ الـلـه بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعا أَوْ كَرْها لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْما فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ

---

(1) المصدر السابق.

(2) الفرقان: 77.

(3) البقرة: 17 ـ 18.

(4) الأعراف: 179.

بِالله وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ * فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللـه لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَيَحْلِفُونَ بِالله إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ}[1].

والسياق يتحدث عن جماعة المنافقين الذين اندسوا في صفوف المسلمين باسم الإسلام.. فرأى هؤلاء أن حب السلامة وحب الكسب يقتضيان أن يحنوا رؤوسهم للإسلام، وأن يكيدوا له داخل الصفوف، بعد أن عزّ عليهم أن يكيدوا له خارج الصفوف.

ولقد كان أولئك المنافقون يدسّون أنفسهم في الصف لا عن إيمان واعتقاد، ولكن عن خوف وتقيّة، وعن طمع ورهب، ثم يحلفون أنهم من المسلمين، أسلموا اقتناعا، وآمنوا اعتقادا.

فهذه السورة تفضحهم وتكشفهم على حقيقتهم، فهي الفاضحة التي تكشف رداء المداراة، وتمزّق ثوب النفاق، وإنها لصورة مزرية للجبن والخوف والملق والرياء، لا يرسمها إلاّ هذا الأسلوب القرآني العجيب، الذي يبرز حركات النفس شاخصة للحس، على طريقة التصوير الفني الموحي العميق[2].

وبهذه الصورة المعبّرة الساخرة، يمضي السياق القرآني لإسقاط ظاهرة النفاق، في عيون الأمة، عبر توظيف رائع لمظاهر الخلل، في النفسيّة المهزومة والقلقة، لأقطاب النفاق.

خامسا: الإهمال والتجاهل

ومن وسائل الحرب النفسية والمواجهة الإعلامية التي استخدمها القرآن، هو أسلوب الإهمال وعدم الاعتناء بالخصم، ليشعر بعدم قدرته على إثارة الطرف

---

(1) التوبة: 46 ـ 57.

(2) في ظلال القرآن 3: 1661 ـ 1666 (ط دار الشروق).

الإسلامي، وضعف موقعة وضآلة قدره، كجزء من الحرب النفسية، والإسقاط الاجتماعي التي يشنها الإعلام الإسلامي ضده، عندما يكون الإهمال، وعدم الدخول في حرب كلامية هو الأسلوب الأفضل للموقف والقضية. ويتجسد هذا المبدأ، في العديد من الآيات، كقوله تعالى[1]:

{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}[2].

{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاما}[3].

{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}[4].

{وَقِيلِهِ يَاربِّ إِنَّ هَؤُلاء قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}[5].

{وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الـلـه فَيَسُبُّواْ الـلـه عَدْوا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[6].

ومن المبررات المنطقية لتجاهل الإشاعة التي يبثها الخصم، هو أن محارب الإشاعة قد يواجه موقفا حرجا ويقع في ورطة، فلو سكت عنها تزداد انتشارا، ولو حاول تكذيبها - وهذه أكثر الطرق استخداما إلاّ أنها ليست الطريقة المثلى؛ لأن تكذيبها يتضمن الإعلان عنها - فسيجعل من لم يسمع هذه الشائعة يسمعها عن طريقه هو، فوق أنه بذلك يكررها ويرددها. وهناك أناس يصدقون الشائعات ولا يصدقون تكذيبها، ولذلك فإن الوسيلة المثلى لتكذيب الشائعة، أن يكون التكذيب

---

(1) مرتكزات أساسية: 49.

(2) المؤمنون: 3.

(3) الفرقان: 63.

(4) القصص: 55.

(5) الزخرف: 88 ـ 89.

(6) الأنعام: 108.

بطريق غير مباشر، دون أن يعيد ذكر الشائعة، أو يكشف مصدرها، وقصد مروّجها منها، وهذا يتطلب مهارة ممّن يتصدى لهذه المهمة[1].

سادسا: الاستمالة

ويستخدم القرآن أُسلوبا نفسيا وجدانيا مؤثرا، في الطرف المتلقي، بتوجيه الخطاب الليّن والكلمة الجذّابة، والاستهواء المؤثر إليه. ومن الآيات التي حث على استخدام هذا الأسلوب، في المواجهة الإعلامية، قوله تعالى:

{**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**}[2].

{**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ ربِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**}[3].

ليشعر المتلقي باحترام الإعلام الموجه إلى شخصيته، وحسن نيّة الجهة التي تخاطبه، وحرصها على حفظ مصالحه وكرامته، لتكوين علاقة حسنة بينه وبين الطرف الذي يوجه إليه الخطاب الإعلامي، فيكسب وده وثقته، ويتقبل أفكاره وخطابه[4].

وفي هذا الاتجاه، تأتي دعوة القرآن لهم إلى أن يتركوا باطلهم، ويعملوا عقولهم، ويفكروا فيمايدعون إليه، من الحق والهدى[5] قال تعالى:

{**أَفَلاَ يَتَدَبَّرونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الـلـه لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفا كَثِيرا**}[6].

{**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا**

---

(1) بحوث في الإعلام الإسلامي: 68.

(2) فصلت: 34.

(3) النحل: 125.

(4) مرتكزات أساسية.. : 50 ـ 51.

(5) منصور محمد محمد عويس، الرسول والحرب النفسية (طرابلس ـ ليبيا، 1975) : 269.

(6) النساء: 82 .

بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}[1].

سابعا: الترهيب والترغيب

ومن أساليب مواجهة الحرب النفسية، والوقاية من كيد العدو، والتأثير النفسي، هو اللجوء إلى أسلوب الترهيب والترغيب في آن واحد. ومن ذلك قوله تعالى:

{نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُور الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ}[2].

{حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ الـلـه الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}[3].

{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا الـلـه لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[4].

{اعْلَمُواْ أَنَّ الـلـه شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ الـلـه غَفُور رَّحِيمٌ}[5].

{إِنَّ ربَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}[6].

وفي هذه الآيات الكريمة وغيرها كثير، نجد أن الخطاب القرآني اعتمد هذا الأسلوب النفسي الفريد. وبخصوص النصّين الأخيرين يتجلى الموقف بشكل حاسم

---

(1) سبأ: 46.

(2) الحجر: 49 ـ 50.

(3) غافر: 1 ـ3.

(4) الأعراف: 40 ـ 43.

(5) المائدة: 98.

(6) الأعراف: 167.

وموجز: فمع التحذير إيحاء وإلقاء للتبعة على المخالف الذي لا يثوب[1] وغالبا ما يرد هذا النوع، من أنواع رحمته بعباده، ليذكر - أيضا - أنه شديد العقاب؛ لأن الإيمان لا يتم إلاّ بالرجاء والخوف، كما قال عليه الصلاة والسلام: (لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)، ثم ذكر عقيبه ما يدل على الرحمة.

وهو كونه غفورا رحيما، وذلك يدل على أن جانب الرحمة أغلب؛ لأنه تعالى ذكر فيما قبل أنواع رحمته وكرمه، ثم ذكر أنه شديد العقاب، ثم ذكر عقيبه وصفين من أوصاف الرحمة، وهو كونه غفورا رحيما، وهذا تنبيه على دقيقة، وهي أن ابتداء الخلق والإيجاد كان لأجل الرحمة، والظاهر أن الختم لا يكون إلاّ على الرحمة[2].

وفي معرض تفسيره للآية ما قبل الأخيرة، يشير الشيخ الطوسي إلى لفتة إعلامية مهمة، ولعلها تعتبر من صلب الأهداف، التي تتوخاها أساليب الحرب النفسية في عصرنا هذا، ونقصد بها الإهانة المقترنة بالاستخفاف للطرف الآخر، في حال إصراره على عناده وغيّه. يقول الطوسي:

(والعقاب هو الضرر المستحق على جهة الإهانة والمقارن بالاستخفاف، ولو اقتصرت على أن تقول هو الضرر المستحق أو الضرر الذي يقارنه استخفاف وإهانة لكان كافيا؛ لأنه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه).

وأما عن الوجه الآخر للمعادلة فيقول عنه صاحب التبيان:

(وقوله: {**وإن اللـه غفور رحيم**}.. المغفرة: هي ستر الخطيئة برفع عقابها، وأصلها الستر، ومنه المغفرة، وضم ذكر الرحمة إلى المغفرة، لبيان سبوغ نعم اللـه تعالى)[3].

---

(1) في ظلال القرآن: 2: 983.

(2) الفخر الرازي، التفسير الكبير 12: 102 (ط 3).

(3) الشيخ الطوسي؛ التبيان في تفسير القرآن 4: 33 (ط بيروت، د.ت).

وهكذا يوجه القرآن خطابه إلى الطرف الآخر، ليشعره بهذا المبدأ المتوازن: الترهيب والترغيب، لكي يهز قناعاته ويربكه نفسيا، دون أن يتركه نهبا لليأس والقنوط، أو الخوف فقط، وإنما يفتح له نافذة من الأمل والرجاء، عبر التعريج مباشرة على الترغيب.

ثامنا: المواجهة

بعد ذلك، ينتقل الموقف مع مروجي الإشاعات والأراجيف إلى جولة أخرى، هي الأشد والأعنف والأكثر ضراوة، ونقصد بها مرحلة المواجهة الحاسمة، وقد اتخذت استراتيجية مواجهة الأراجيف أساليب عدّة، للوصول إلى أهدافها المنشودة:

أ-التصدي لها منذ البداية وإحباطها:

يتطلب الموقف - أحيانا - سرعة الرد على الإشاعة؛ لأن عدم السرعة في نفيها يعني إثباتها وتأكيدها، وللرد عليها يجب تحليل الإشاعة من حيث مصدرها وقوتها وضعفها وخطورتها قبل نفيها، فإذا كانت الإشاعة قوية، وجب الرد عليها بطريقة لبقة وغير مباشرة، أي دون ذكر موضوع الإشاعة الأصلي[1]، وذلك عبر البحث عن مصادر كل شائعة، عند ظهورها،ومحاولة القضاء عليها من منبعها وقلعها من جذورها، وكشف مروجيها وفضحهم. ومن أمثلة ذلك عندما كان رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم منطلقا ومعه جيش المسلمين إلى تبوك، أخذ بعض المنافقين يشيرون إليها ويقولون: أتحسبون جلاد بني الأصفر (يعني الروم) كقتال العرب بعضهم بعضا؟ و اللـه لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال.. وذلك إرجافا وترهيبا للمؤمنين، فما كان من رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم إلا أن رأى ضرورة القضاء على هذه الشائعة في مهدها، فقال صلى اللـه عليه و سلم لعمار بن ياسر: (إدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا وكذا).. فذهب إليهم عمار وقال لهم ذلك، فأتوا رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم وقالوا: يا رسول اللـه إنما كنا

(1) دورية قراءات سياسية: 121.

نخوض ونلعب[1]، فأنزل الله عز وجل في ذلك: {**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**}[2].

ب- تحطيم الرموز المعادية:

تشكّل القيادة والرموز المعادية الهدف الأول للإعلام والحرب النفسية المضادة، ذلك لأن الرموز والقيادة هي القوة المركزية، والموّجه الحركي للجماعة والأمة، وكلما كان للجماعة والأمة ثقة برموزها، وتقديس لقيادتها، وارتباط وثيق بها، صعب اختراق الإعلام المعادي لتحصيناتها الفكرية والدعائية، لذا فإن مثل هذا الموقف يتطلب، من الخطاب الإعلامي المضاد، تحطيم الرمز المعادي، وعزل تأثيره، وتدمير الثقة به.

ويستخدم القرآن هذا الأسلوب لتعرية المنحرفين، وكشف زيفهم وجنايتهم على الإنسانية، وعلى أتباعهم، لفك الارتباط، وتحطيم التأثير النفسي على الرأي العام، لذلك نرى حملته الإعلامية تتصدى لفرعون والنمرود وأبي لهب وللطواغيت والكبراء والمنحرفين والمستكبرين في الأرض والملأ المتعاونين معهم، ويتبنى الدفاع عن المستضعفين في الأرض، ليفصل بين القيادة المتسلطة وبين الرأي العام، تمهيدا لعملية التلقي، وقبول الخطاب الآخر الذي يوجهه الأنبياء، ودعاة الإسلام، والمصلحون في الأرض. قال تعالى:

{**وَقَالُوا ربَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنا كَبِيرا**}[3].

{**إِنَّ فِرعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَة مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**}[4].

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 4: 168.

(2) التوبة: 65.

(3) الأحزاب: 67 ـ 68.

(4) القصص: 4.

{**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ**}[1].

{**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**}[2].

{**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرِ الأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**}[3].

وهكذا يكشف القرآن حملته الإعلامية على رموز الجريمة والعدوان، لهدم شخصياتهم، وللإجهاز على دورهم القيادي، وتحطيم الثقة بينهم وبين الأتباع[4].

جـ -<u>التخويف:</u>

ومن أساليب الحرب النفسية تخويف العدو وإرهابه، بما يرى في جيش المجاهدين من أمارات القوة، ووسائل الغلب.. وشبيه بهذا ما تقوم به الأمم من عرض قوّتها في تلك العروض العسكرية، التي تكشف بها عن بعض عدتها وعتادها...

ولهذا الجانب من الحرب النفسية أثر كبير في كسر شوكة العدو، وفي قتل مطامعه في النيل من عدوه، فلا يُقدم على العدوان، وهو يرى هذه القوة المهيّأة للحرب، الراصدة لكل عدو، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

{**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللـه وَعَدُوَّكُمْ**}[5].

والى هذا يشير الرسول في مقام تعداد فضل اللـه سبحانه وتعالى، إذ يقول: (ونُصرت بالرعب مسيرة عام) أي أنّ أعداءه المحيطين به، يجدون في أنفسهم رهبة له،

---

(1) الهُمَزَة: 1 ـ 5.

(2) اللهب: 1 ـ 4.

(3) القلم: 13 ـ 16.

(4) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 52 ـ 54.

(5) الأنفال: 60.

المقاتل الذي يخذّل المقاتلين، وينشر الإشاعات بينهم يُحرم من الغنيمة ولا يُعطى منها[1].

وأما المنافقون، فقد أصدر الرسول صلى الـلـه عليه و سلم بحقهم حكما حاسما، حينما تناهى إلى سمعه أنّ رهطا منهم يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يثبّطون الناس عن رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، حتى لا يخرجوا معه في غزوة تبوك، ومما قالوه في شائعاتهم: لا تنفروا في الحر.. زهادة في الجهاد، وشكا في الحق، وإرجافا برسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، فأنزل الـلـه تعالى فيهم:

{**وَقَالُواْ لاَ تَنفِرواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**}[2].

وحالما بلغ رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم الخبر، بعث إليهم طلحة بن عبيد الـلـه، في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة[3].

وتخلص المسلمون من الشرور التي تنبعث من تلك البؤرة الفاسدة[4].

وكان النفي أحد أساليب القصاص، التي اتبعها الرسول صلى الـلـه عليه و سلم ، تنفيذا لأوامر الـلـه سبحانه:

{**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا * سُنَّةَ الـلـه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الـلـه تَبْدِيلا**}[5].

ويأتي تهديد المنافقين، ومرضى القلوب، والمرجفين الذين ينشرون الشائعات المزلزلة، في صفوف الجماعة المسلمة، تهديدهم القوي الحاسم، بأنهم إذا لم يرتدعوا عمّا يأتونه من هذا كله، وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات والجماعة المسلمة كلها،

---

(1) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 40.

(2) التوبة: 81 ـ 82.

(3) سيرة ابن هشام 4: 160.

(4) بحوث في الإعلام الإسلامي: 71.

(5) الأحزاب: 60 ـ 62.

المقاتل الذي يخذّل المقاتلين، وينشر الإشاعات بينهم يُحرم من الغنيمة ولا يُعطى منها[1].

وأما المنافقون، فقد أصدر الرسول صلى الـلـه عليه و سلم بحقهم حكما حاسما، حينما تناهى إلى سمعه أنّ رهطا منهم يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يثبّطون الناس عن رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، حتى لا يخرجوا معه في غزوة تبوك، ومما قالوه في شائعاتهم: لا تنفروا في الحر.. زهادة في الجهاد، وشكا في الحق، وإرجافا برسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم ، فأنزل الـلـه تعالى فيهم:

{وَقَالُواْ لاَ تَنفِرواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}[2].

وحالما بلغ رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم الخبر، بعث إليهم طلحة بن عبيد الـلـه، في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة[3].

وتخلص المسلمون من الشرور التي تنبعث من تلك البؤرة الفاسدة[4].

وكان النفي أحد أساليب القصاص، التي اتبعها الرسول صلى الـلـه عليه و سلم ، تنفيذا لأوامر الـلـه سبحانه:

{لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا * سُنَّةَ الـلـه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الـلـه تَبْدِيلا}[5].

ويأتي تهديد المنافقين، ومرضى القلوب، والمرجفين الذين ينشرون الشائعات المزلزلة، في صفوف الجماعة المسلمة، تهديدهم القوي الحاسم، بأنهم إذا لم يرتدعوا عمّا يأتونه من هذا كله، وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات والجماعة المسلمة كلها،

---

(1) مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 40.

(2) التوبة: 81 ـ 82.

(3) سيرة ابن هشام 4: 160.

(4) بحوث في الإعلام الإسلامي: 71.

(5) الأحزاب: 60 ـ 62.

يسلط الـلـه عليهم نبيّه، كما سلّطه على اليهود من قبل، فيطهّر منهم جو المدينة، ويطاردهم في الأرض، ويبيح دمهم، فحيثما وجُدوا أخذوا وقتلوا، كما جرت سنة الـلـه فيمن قبلهم من اليهود، على يد النبيصلى الـلـه عليه و سلم ، وغير اليهود من المفسدين في الأرض، في القرون الخالية[1].

تاسعا: فتح باب التوبة

ويبقى باب التوبة مفتوحا لمن يشاء أن يدلف فيه، وبإعلان التوبة الصادقة يصبح التائب مغفورا له ما مضى قبل الإسلام، غير مؤاخذ بما ارتكب من جرائم قبل إسلامه، مهما كانت تلك الجرائم، ولو كانت الجرائم قتلا للمسلمين وحربا ضدهم. إنه بإعلان إسلامه يصبح مندمجا تمام الاندماج، وسط المسلمين كواحد منهم، لا يفرّق بينه وبينهم، في المعاملة، وفي الثقة، وفي تحمّل ما يحتمله المسلمون. إنه لا يعيش حاضره بعقدة ماضيه، بل يصبح إنسانا جديدا، تعانقه القلوب المؤمنة، وتبتسم له الشفاه التي طالما تحركت بالنصح، لتدعوه إلى الإيمان، وتنصحه بالسلام. فإذا ما جاء مسلما فلا شيء عليه بالنسبة لماضيه. إنه يسير جنبا إلى جنب مع منْ كان قتل أباه المسلم، ويجلس ويأكل مع منْ قتل ابنه المسلم (قبل الإسلام). إنه يعيش في أمن وطمأنينة، لا يُقال له قول يؤذيه، أو يهدد بما فعل في ماضيه[2]:

{**قُل لِلَّذِينَ كَفَرواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ**}[3].

وقال تعالى: {**اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ الـلـه ثَمَنا قَلِيلا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاّ وَلاَ ذِمَّة وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**}[4].

---

(1) في ظلال القرآن 5: 2880.

(2) الرسول والحرب النفسية: 275.

(3) الأنفال: 38.

(4) التوبة: 9 ـ 11.

ولم يستثن الباري جل وعلا أحدا من توبته، بمنْ فيهم أولئك المنافقون المخادعون المذبذبون:

{**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِالله وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ الله الْمُؤْمِنِينَ أَجْرا عَظِيما**}[1].

يقول العلامة الطباطبائي: (التوبة بتمام معناها الوارد في القرآن، من التعاليم الحقيقية المختصة بهذا الكتاب السماوي.. والتوبة كما يُستفاد، من مجموع ما تقدم من الآيات المنقولة وغيرها، إنّما هي حقيقة ذات تأثير في النفس الإنسانية، من حيث إصلاحها وإعدادها للصلاح الإنساني، وإن الإسلام، وهو التوبة من الشرك، يمحو كل سيئة سابقة، وتبعة ماضية متعلقة بالفروع، كما يدل عليه قوله عليه السلام: الإسلام يجبّ ما قبله، وبه تفسر الآيات المطلقة الدالة على غفران السيئات جميعا كقوله تعالى[2]:

{**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ**}[3]).

عاشرا: تنمية الثقة بالنفس

في غمرة الظروف العصيبة التي اكتنفت مسيرة الإسلام، ورغم كل ما اعتورها من تحديات وعقبات، فإن الخطاب القرآني - وكذلك النبوي - كان يحث على تنمية الثقة بالنفس، والإيمان بالله، والدعوة لمواصلة الكفاح والصمود، وعدم اليأس، وحث الناس على المساهمة الإيجابية، في كل مجال، وكل ذلك ممّا يساعد على مقاومة الشائعات، وعدم التأثر بها، وفهم الأغراض الخبيثة لمروجيها[4].

---

(1) النساء: 145 ـ 146.

(2) تفسير الميزان 4: 244، 248، 250.

(3) الزمر: 53 ـ 54.

(4) بحوث في الإعلام الإسلامي: 73.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:

{لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ}[1].

ومعناه: هلا حين سمعتم هذا الإفك من القائلين، ظنّ المؤمنون والمؤمنات الذين هم كأنفسهم خيرا؛ لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة، فيما يجري عليها من الأمور، فإذا جرى على أحدهم محنة، فكأنه جرى على جماعتهم[2] وينبغي للمؤمن إذا سمع شرا، عن أخيه المؤمن، أن يظن به الخير، وينفي السوء عنه قياسا على نفسه[3].

نعم كان هذا هو الأولى، أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم، في مثل هذه الحمأة[4].

ويقرر الخطاب القرآني الموجه للمؤمنين هذا المفهوم، الذي يفضي إلى تنمية الثقة بالنفس والتربية الاجتماعية: هلاّ إذ سمعتم الإفك ظننتم بمن رُمي به خيرا، فإنكم جميعا مؤمنون، بعضكم من بعض، والمرميُّ به من أنفسكم، وعلى المؤمن أن يظن بالمؤمن خيرا، ولا يصفه بما لا علم له به[5].

وبهذا تتضمن هذه الآية الكريمة قاعدة كلية، من قواعد الحياة الاجتماعية في الإسلام، وهي أنه ينبغي أن يكون الأساس للروابط الاجتماعية، في المجتمع الإسلامي، هو ظن الناس فيما بينهم خيرا، ولا ينبغي أن يظن بعضهم ببعض سوءا، إلاّ فيما إذا كان له أساس إيجابي قاطع. فالمبدأ الذي يقوم عليه المجتمع الإسلامي هو أن كل رجل بريء لا إثم عليه، ما لم يكن ثمة أساس قوي معقول، لكونه مجرما، أو للشك

---

(1) النور: 120.

(2) تفسير التبيان 7: 416.

(3) الشيخ محمد جواد مغنية، التفسير المبين: 458.

(4) في ظلال القرآن 4: 2501.

(5) تفسير الميزان 15: 91.

في جريمته على الأقل، وأن كل رجل صادق، في ما يقول، ما لم يكن ثمة ما يدل على كونه ساقط الاعتبار[1].

وليس هناك من وسيلة ناجعة لمواجهة أراجيف الأعداء، أفضل من تعزيز الثقة بالنفس، فالواثق من نفسه، فردا كان أم مجتمعا، لا تهزّه الرياح العاتية، والعكس صحيح، فغير الواثق من نفسه ليس بمقدوره أن يمنح الثقة للآخرين، وبذا يكون لقمة سائغة للألاعيب والإشاعات، تعبث به ما شاء مخططوها، وكيفما يحلو لهم...!

والتاريخ - البعيد والقريب - خير مصداق على ما نذهب إليه، فحينما كان المسلمون واثقين من أنفسهم فتحوا الدنيا باقتدار عجيب، وحينما فقدوا ثقتهم بأنفسهم تهالكت عليهم الأمم الكافرة، في غمرة هزيمة نفسيّة عجيبة أيضا.

وقد حرص القرآن على تربية أتباعه تربية متفوقة، تشعرهم بالقوّة والعزة الباطنة، فلا ينحني المؤمن للمحن والتحديات، ولا يستسلم للخصم، ولا يرضخ لقوى الطاغوت:

{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ}[2].

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللـه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[3].

{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّة وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ}[4].

وهكذا يكوّن القرآن وعيا وتربية لمقاومة الهزيمة النفسية، ويكرّس جهدا

---

(1) أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور: 132 (مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.).

(2) المنافقون: 8.

(3) آل عمران: 173.

(4) القصص: 5 ـ 6.

إعلاميا قائما على أسس علمية دقيقة، يساهم في معركتنا الحضارية في حالتي الهجوم والدفاع[1].

تعليمات للتعامل مع الإشاعة

الآن وقد انتهينا من استنطاق كتاب الـلـه في واحدة من أبرز مظاهر الحرب النفسية - أي الإشاعة - واستعرضنا أهم تلك المعالم القرآنية التي تناولت الموضوع، حريٌّ بنا أن نختتم البحث، بما يمكن استنتاجه، من فوائد متوخاة، لتوظيفها في مرحلتنا الراهنة بالاتجاه المطلوب.

ففي مرحلة (مطلع النور) أثبت الإسلام أنه أقوى من جميع الأعداء، ومن حرب الإشاعات الضارية التي شنوها للقضاء على الإسلام، ووقف تياره الزاحف.. كل ذلك لأن رسول الـلـه صلى الـلـه عليه و سلم - مؤيدا بالوحي من السماء - قد قاوم تلك الإشاعات وقضى عليها، ببعض التصرفات السديدة، والتوجيهات الحكيمة الصائبة، ولاريب أن تلك التوجيهات تصلح لمقاومة الإشاعات، في كل زمان ومكان، ونحن مخاطبون بهذه الآيات القرآنية، وهذا الهدي النبوي كما خوطب بها الأولون؛ لأن تلك النصوص القرآنيّة وهذا الهدي النبوي جاءت للعمل، ليس فقط في وسط الذين عاشوا أحداثها ومناسباتها، ولكن كذلك للعمل في كل وسط بعد ذلك، كما وقع مثل تلك الإشاعات أو شبهها في البيئات المتنوعة، وعلى امتداد السنين[2].

وها هي أمتنا الإسلامية تتعرض، اليوم، إلى حرب نفسية رهيبة، من قبل أعدائها العريقين في عداوتهم.. مستخدمين وسائل الإعلام كافة، وكل أنواع الأسلحة، من دعاية كاذبة، أو شائعة مغرضة، أو ضغط اقتصادي، أو تخويف، أو إرهاب.. وهدف الأعداء الأول والأخير تحطيم عقيدة هذه الأمة، وقطع العرى التي تربطها بدينها

---

(1) مرتكزات أساسية: 63.

(2) بحوث في الإعلام الإسلامي: 78.

وأخلاقها، وبالتالي تمزيق شملها ووحدتها، ومن ثم إضعافها، وضمان تبعيتها له، في كل أمر من الأمور السياسية والاقتصادية، وحتى الفكرية والاجتماعية.

لذا فنحن أبناء هذه الأمة في أشد الحاجة إلى فهم ذلك، والوعي الكامل، بما يخطط له الأعداء، لإحباط هذه المخططات بإذن اللـه[1]. ولكي نستطيع أن نفوّت الفرصة، على أجهزة الرصد الاستكبارية، وقوى الاستكبار العالمي، والسائرين بركابهم، ونسقط خططهم، علينا أن نراعي ما يأتي[2].

1- إذا سمع أحدنا إشاعة، أو خبرا، لا يُعرف مصدره، أو سمعه من مصدر لا يوثق به، كالإذاعات والصحف والعناصر المعبّرة عن مصالح أعدائنا، فلا يصح التصديق أو الاعتماد على هذا الخبر، وهو محرّم قد نهانا القرآن عنه في (آية النبأ).

2- يجب أن نتسلّح بالقوة والمناعة النفسية، فلا نتأثر بالإشاعات والأخبار التي يروّجها خصومنا، فقد يشك الإنسان في الخبر أحيانا، ولكنه يتأثّر به نفسيا، فيؤثّر في معنويته وموقفه، وبهذا التأثّر، وبتلك الاستجابة، يتحقق غرض الدعاية المخرّبة والدعاية المضادة، فإن ذلك هدف أساس من أهدافها.

3- إذا سمعت إشاعة أو تهمة أو خبرا مرجفا، يستهدف قوّة المسلمين أو وحدتهم أو مصالحهم، فاحذر من أن تنقله، فتساهم في نشر الإشاعة، وتسخّر نفسك لخدمة الأجهزة المخرّبة والعناصر المروّجة للإشاعات والدعاية الكاذبة ولو على نحو الرواية، بأن تقول: يقولون كذا، أو يُشاع وقوع هذا الحدث، أو حدوث ذلك الشيء.. الخ، فإنه خدمة لمصممي الإشاعة، وتجنيد لخدمة أغراضهم، من حيث لا تشعر.

4- إذا سمعت خبرا، أو إشاعة صحيحة، أو اطلعت على شيء، فاحذر أن تنشر ذلك، ما زال في نشره ضرر بمصلحة الأمة والرسالة الإسلامية، ونشر مثل هذا الخبر يُساهم في إضعاف موقف الأمة وموقع الرسالة، والأهداف الإسلامية، ويجعل منك أداة من حيث لا تشعر.

---

(1) فهمي قطب الدين النجار، الإعلام والبيت الإسلامي: 72،(الكويت 1405هـ ـ 1985م).

(2) اعتمدنا بشكل أساس في هذا المورد، على كرّاس: مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني: 43.

5- من الضروري أن يكون الدور الإعلامي، الذي ينبغي أن تقوم به العناصر والأجهزة الإعلامية الإسلامية، متصفا بالمبادرة والسبق إلى الرأي العام والناس الذين تعيش معهم، فتوضّح لهم الحقائق، وتعرّفهم بالأمور السياسية والفكرية والعسكرية.. إلخ، قبل أن يُعرَّضوا للإشاعة والتضليل، ليكتسبوا المناعة والقدرة على المقاومة، فالوقاية خير من العلاج.

6- روي عن رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم قوله: (قولوا في الفاجر ما فيه ليحذره الناس) فلابدّ من فضح أعداء الإسلام، وكشف خططهم، ونواياهم، وأساليبهم، وانحرافهم، وجرائمهم، ليحذرهم الناس، وليحذروا عملاءهم المسخّرين لخدمتهم، الذين يفرّقون صفوف المسلمين، ويشيعون الأباطيل والتهم والإشاعات.

ولكي تشق هذه الخطوات طريقها إلى الواقع ، مطلوب من كل الغيارى في هذه الأمة؛ علماء ومفكرين ودعاة وإعلاميين .. أن يتواصوا بالحق والصدق، وأن تتضافر جهودهم، في إطار مشروع منهجي حضاري، يواكب مستجدات الحياة، ويلاحق المتغيرات، يتبنّى الرأي الواضح الواعي، يبصّر الناس - خاصة الشباب- بأمور دينهم، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم دنيا وآخرة.

وتزداد مسؤولية الجميع ، في عصرنا الحاضر الذي يشهد تحديات غاية في الخطورة، على الصعيد الإعلامي تحديدا، والمتمثلة في ما تبثه الفضائيات، ومواقع الإنترنيت،والصحف والمجلات من سموم وإفساد وتخريب للقيم والذوق والهوية.إن هذا الكم الهائل من البث الوافد الذي يخترق الأجواء والبيوت، ويتدفق بصورة مثيرة، تستوجب على رجال الإعلام وعلى الدعاة والمفكرين أن يواجهوا ذلك بتحصين أمتهم بالقيم، والسمو بالمادة الإعلامية الجادة والقوية الجاذبة للمشاهدين والمستمعين والقراء.

كما يجب أن تنهض وسائل الإعلام بإعطاء المشروع الإسلامي حقه من مساحة البث أكبر، وفي وقت مسموع، حتى يستطيع الإسلام أن يؤدي رسالته على أكمل وجه في مناهضة الرذائل ، وغرس الفضائل، ونشر الصورة السمحة للإسلام ، وبيان منهاجه

الذي يتسم باليسر ورفع الحرج والرحمة والسلام، وليس كما يزعم الواهمون والجاهلون والمعادون بأنه دين عنف أو تشدد، فإن ممارسة البعض من القلة النادرة لبعض ظواهر التشدد لا يصح الحكم بها على الجميع، فهم ليسوا من الإسلام في شئ، لأن الإسلام هو دين الرحمة ، لخص اللـه جوهر رسالته لرسوله صلى اللـه عليه و سلم ، وقصرها على الرحمة، حين قال:(وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين).

كما يجب على الإعلام أن يصون رموز الأمة وثوابت الشرائع السماوية، لأن رسالة الإعلام رسالة سامية هدفها النهوض بالأمة، وليس التشكيك في الثوابت ولا الرموز، وإن حرية الكلمة التي نعيشها تمثل مناخا صحيا، يجب أن يوظف للرقي بالقيم والنهوض بالأمة، والدعوة إلى وحدتها.

الوعي أولا..العلاج ثالثا

بعد هذه الجولة (التنقيبية) في ظاهرة الإشاعة، من رؤية قرآنية، نرى لزاما التوقف قليلا إزاء (خاتمة المطاف)، لاستخلاص (أجندة) الإجراءات المنهجية المطلوبة لمواجهة سلاح الإشاعة، وإجهاض مفعولها، وتفادي تأثيراتها السلبية البالغة الخطورة والضرر معا.

وقد توصلنا خلال الفصول المتقدمة إلى أن الإشاعة ظاهرة اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية وعسكرية وإعلامية موجودة في كل المجتمعات الإنسانية، إنها وباء اجتماعي يصعب التخلص منه. فقد تهاجم (فيروساته) الفرد أو الجماعة أو المجتمع أو العالم، فتشل فكره أو تفتك في جسده، فكل منا عرضة للإصابة بهذا الوباء القديم - الجديد. ولخطورة هذا الوباء فقد أنشأت الدول أجهزة خاصة لمقاومته وتطويقه والسيطرة عليه.

وهناك ثلاث طرق للتعامل مع هذا الوباء القاتل:

1.التوعية أولا:

توعية الجمهور المستهدف، من مدنيين وعسكريين، بالمخاطر الناجمة عن الاستماع للإشاعة، أو نقلها، أو العمل على ترويجها. وتقع المسؤولية الكبرى، في هذا المجال، على عاتق وسائل الإعلام الجماهيري المسموعة كالإذاعة، أو المقروءة كالصحف والمجلات والكتب، والسمعية/ بصرية كالتلفزيون والسينما.. وأخيرا القاسم المشترك لهذه الوسائل جميعا، ونعني به الإنترنت.

2. الوقاية ثانيا:

فالوقاية خير من العلاج. وتكون بتحصين الناس ضد الإشاعة عن طريق تزويدهم بالمعلومات الدقيقة والكاملة والشاملة والموضوعية والموثوقة، عن كل شيء

يتعلق بحياتهم. كذلك العمل للقضاء على الأسباب التي تؤدي إلى وجود الإشاعات، مثل؛ الأهمية، والغموض، ونقص المعلومات، وتضاربها، والرقابة على سريانها من المرسل إلى المستقبل. أي يجب العمل على عدم توفر جو مناسب وتربة خصبة لزرع بذور الإشاعة ونموها وتكاثرها. ولكن خير وقاية من الإشاعة هو الإيمان، وقوة العقيدة، والوعي.

3.العلاج ثالثا:

أمّا إذا انتشر هذا الوباء فيجب العمل على مقاومته. وتعتمد مقاومة الإشاعة على معرفة مصدرها ونشأتها ومحتواها وأسباب انتشارها ومكانها وزمانها، لدحضها والسيطرة عليها.

لذا يجب العمل على تزويد الناس بالعلاج الذي يسرع في القضاء عليها في مهدها إن أمكن، أو الحد من سرعة انتشارها، أو نفيها إذا انتشرت، وإلا فستفتك بالأمة عن طريق إثارة الفتن والقلاقل والمخاوف واليأس والاستسلام.

ولمقاومة الإشاعة يجب الأخذ بالأساليب التالية:

أ. تحليل أسباب ومصادر ودوافع مطلقي ومروجي الإشاعة.

ب.الوصول إلى مروجي الإشاعات وإسكاتهم إن أمكن، ومعرفة نقاط ضعفهم وقوتهم.

ج.الاتصال بالجمهور المستهدف الذي أصيب أو تأثر بوباء الإشاعة، ليطمئن على سرعة معالجة الموضوع.

د.تزويد الجمهور المستهدف بمعلومات صادقة وكاملة عن موضوع الإشاعة.

هـ.توعية الجمهور بخطورة الاستماع أو قراءة أو مشاهدة أو ترويج أو ترديد الشائعات، وفي حالة العلم بها، يجب إبلاغ المسؤولين عنها؛ لأنهم هم أقدر الناس على الرد عليها.

و. يجب الرد على الإشاعة بطريقة رسمية من قبل أهل العلم والمعرفة والمسؤولية، بطريقة غير مباشرة، دون الإشارة إلى موضوعها أو تفصيلاتها.

ز. إذا كانت الإشاعة سخيفة، يحسن تجاهلها وعدم الرد عليها.

ح. دحض الإشاعة بمقابلة الجمهور المستهدف شخصيا، كما في حالة الاتصال الشخصي، أو عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية، كالإذاعة والتلفزيون والمطبوعات.

ط. يمكن الرد على الإشاعة بإشاعة مماثلة عند اللزوم، بشرط أن تكون أقوى منها، أي دحض الحجة بالحجة.

ي. إنشاء مركز معلومات لاستقبال أسئلة الجمهور المستهدف، حول الإشاعة والرد عليها، ورصد الإشاعات التي تسري في المجتمع في السلم والحرب، ومعرفة الدوافع السيكولوجية المحركة لها.

ك. تشكيل جهاز مكون من عدة كفاءات في علم الاجتماع والنفس والاقتصاد والسياسة والإعلام، للرد السريع والعلمي والمدروس على أية إشاعة قد تظهر في المجتمع.

ومن هنا نرى أن الإشاعة قدتكون إيجابية، مثل إشاعة جس النبض الجماهيري، أو رفع الروح المعنوية، أو التوعية ،أو الرد على إشاعة العدو بإشاعة أقوى منها، وقد تكون الإشاعة سلبية أو هدامة يجب مقاومتها، بكل الأسلحة المتوفرة.

إن مقاومة الإشاعة هي مسؤولية الفرد والجماعة والمجتمع والدول والعالم أجمع، لأن تأثيرها لا يقتصر على فرد بعينه أو مجتمع بعينه أو دولة بعينها، فالكل عرضة للإصابة بهذا المرض في يوم ما، ومدى خطورة تأثيره تعتمد على جهاز المناعة لدى الجمهور المستهدف لهذا الوباء[1].

وبعد: تلك أفكار ومبادئ أساسية تتعلق بالعمل الإعلامي والدعاية، والإشاعة، والخبر، والأراجيف، ولابدّ من مراعاتها لمواجهة الحرب النفسية، ولإيصال الحقيقة إلى الناس، ولصيانة الرأي العام وحمايته من التضليل والجهل والفوضى.

فما أحرانا- نحن مسلمي اليوم - أن نقتفي خطى كتاب اللـه وتوجيهات رسولنا الأكرم صلى اللـه عليه و سلم ، ونسير على المحجّة البيضاء، حتى ننجح في مقاومة الإشاعات التي تحيط

---

(1) اعتمدنا بشكل أساس في هذه النقاط على المقال القيم (سيكولوجية الإشاعة) المنشور في دورية قراءات سياسية: 122 ـ 124، مرجع سابق.

بالإسلام والمسلمين، من كل حدب وصوب، بهدف تحطيم الإسلام، ووقف انتشاره، وزعزعة المسلمين، وفتنتهم عن دينهم، وبث الفرقة بينهم، ليسهل على ذوي الأغراض الخبيثة السيطرة على ديار المسلمين وسلب خيراتها، ونهب ثرواتها[1] واستعباد ساكنيها، وتركيعهم وفق تلك الخطط المرسومة، حتى لا تقوم لهم قائمة.. ولكن: {**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد**}[2]، و{**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاّ بِأَهْلِهِ**}[3]،صدق اللـه العلي العظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) بحوث في الإعلام الإسلامي: 62؛ مرجع سابق.

(2) الفجر: 14.

(3) فاطر: 43.

المراجع

أ) الكتب:

1. القرآن الكريم.
2. الإعلام السياسي والإسلام: د. موسى زيد الگيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ -1985م.
3. الإعلام والبيت المسلم: فهمي قطب الدين النجار، الكويت، 1405هـ - 1985م.
4. بحوث في الإعلام الإسلامي: د. محمد فريد محمود عزت، دار الشروق، جدّة 1403هـ- 1983م.
5. التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
6. التفسير الحديث: محمد عزة دروزة، القاهرة، 1383هـ - 1963م.
7. تفسير سورة النور: أبو الأعلى المودودي، تعريب محمد عاصم الحداد، مؤسسة الرسالة، بيروت (د.ت).
8 . التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، مصر، 1970م.
9. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، أوفست (د.ت).
10. التفسير المبين: محمد جواد مغنية، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، 1403هـ - 1983م.
11. تقنيات الإبداع في الإعلام الجماهيري: د. فريال مهنا، دمشق 1989م.
12. الجامع لأحكام القرآن؛ القرطبي القاهرة، 1387هـ - 1967م.
13. الدر المنثور في التفسير بالمأثور:جلال الدين السيوطي، أوفست مكتبة المرعشي النجفي، قم، 1404هـ .
14. الدعاية والدعاية السياسية: غي دورندان، ترجمة د. رالف رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1403 هـ - 1983م.
15. الرأي العام؛ طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة، د.أحمد بدر, مكتبة غريب، القاهرة، 1977م.
16. الرسول والحرب النفسية: منصور محمد محمد عويس، طرابلس (ليبيا)، 1975 م.

17. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، أوفست بيروت، 1985 م.

18. سيكولوجية الإشاعة : إبراهيم أحمد أبو عرقوب، عمّان (د.ت)

19. الشائعات؛ الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم:جان - نويل كابفيرير،ترجمة تانيا ناجيا، دارالساقي ،لندن ، 2007م.

20. فقه السيرة: محمد الغزالي، ط 7، القاهرة، 1976 م.

21. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط10، القاهرة، 1402هـ -1982م

22. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، القاهرة، 1354 هـ - 1935م.

23. لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ- 1988م.

24. مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت، 1379هـ .

25. مرتكزات أساسية في الإعلام القرآني، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ، طهران، 1412هـ - 1992م.

26. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، ط2، القاهرة، 1973م.

27. من قضايا الإعلام في القرآن: رمضان لاوند، (د.ت).

28. من وحي القرآن: السيد محمد حسين فضل اللـه، دار الزهراء، بيروت، 1402هـ - 1981م.

29. موسوعة السياسة: د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ج3، بيروت، 1983م.

30. الميزان في تفسير القرآن: العلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1394هـ - 1974م.

ب) الدوريات:

1. قراءات سياسية (أمريكا)، السنة الخامسة، العدد الثاني، ربيع 1415هـ - 1985م.

2. مجلة العربي (الكويت)، العدد (94)، سبتمبر، 1966 م.

بطاقة شخصية

- من مواليد 1950م.
- تخرج من جامعة بغداد، كلية الآداب للعام الدراسي 71/ 1972م.
- مارس التدريس(المرحلة الثانوية) في المحافظات: البصرة، واسط.. بغداد.
- من المسؤوليات الإعلامية والثقافية التي تحملها:

  - رئيس تحرير صحيفة الجهاد للسنوات 1982-1987م.
  - رئيس تحرير مجلة رسالة القرآن للسنوات 1990-1995م.
  - مدير تحرير مجلة النهج عام 1997م.
  - مدير تحرير صحيفة المنتدى 1996-1999م.
  - رئيس تحرير مجلة التوحيد 2002-2003م.
  - الأمين العام لرابطة الكتاب والمثقفين العراقيين 2002-2003م.

- شارك في مؤتمرات دولية وندوات مختلفة وألقى عشرات المحاضرات.
- عمل رئيسا لتحرير صحيفة الدعوة، منذ نيسان 2003 م وحتى الآن.

مؤلفاته المطبوعة

1. المواجهة العنيدة 1989م(نفد).
2. نواطير الغرب 1992م(نفد).
3. الإسلام والغرب؛ الوجه الآخر 1997م(نفد).
4. عبد الرحمن الكواكبي؛ جدلية الاستبداد والدين 2000م(نفد).
5. الإسلام والرأي الآخر؛ تجربة الإمام علي نموذجا 2003م.
6. حضارة الأزمة؛ ماذا قبل الانهيار؟ 2003م.
7. الإمام محمد باقر الصدر؛ الرمز والقضية 2005م.(نفد).
8. الشهيدة بنت الهدى؛ الشموخ المضمّخ بعبير الدم2006م.(نفد).
9. ثلاثة كتب(بالاشتراك مع الآخرين).
10. فاجعة الطف ؛شهادات من العالم الآخر 2006م.(نفد).
11. المرأة المسلمة؛ هموم وتحديات ط/1 2006م، وط/2 2007م.
12. المتظاهرون بالإسلام؛ طلائع الاختراق الغربي 2007م.

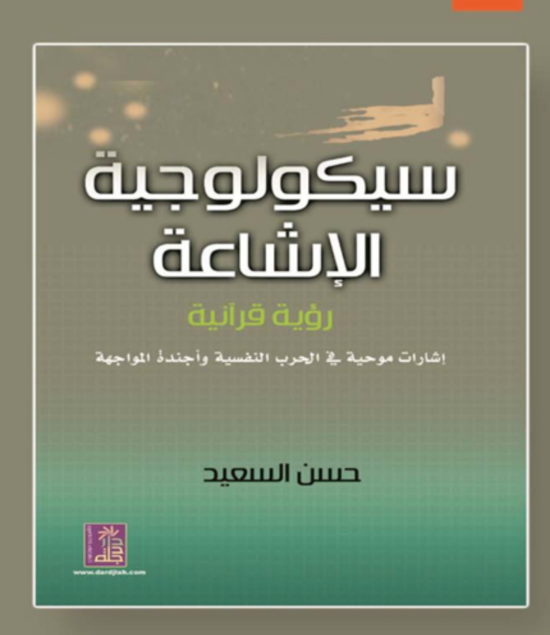
14.مشاعل في العتمة؛إضاءات عن روّاد الوعي الإسلامي الحديث2009م.

15. سيكولوجية الإشاعة؛رؤية قرآنية(هذا الكتاب).

سيكولوجية الإشاعة

رؤية قرآنية

إشارات موحية في الحرب النفسية وأجندة المواجهة









عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس : ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٧٥٥٠ خلوي : ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧
ص ب : ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١- الأردن
بغداد - شارع السعدون - عمارة فاطمة
تلفاكس : ٠٠٩٦٤ ١ ٨١٧٠٧٩٢ خلوي : ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٥٨٥٥٦٠٣
E-mail: dardjlah@yahoo.com
www.dardjlah.com